جوهر التقوى

في الاخلاق والتربية

لفيلسوف الشرق

الشيخ طنطاوي جوهري

(يشمل برامج جميع المدارس المصرية)

وهو الذي درسه لطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

(دار العلوم) في سنة ١٩١٠ـ١٩١١

LIBRARY OF THE SULTANIEH

طبع على نفقة

زكريا احمد رشدي

منشئ ومحرر مجلة الرشديات

« حقوق الطبع محفوظة »

« بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ »

جوهر التقوى

في الاخلاق والتربية

لفيلسوف الشرق

الشيخ طنطاوي جوهري

(يشمل برامج جميع المدارس المصرية)

وهو الذي درسه لطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

(دار العلوم) في سنة ١٩١٠ـ١٩١١

LIBRARY OF THE SULTAN

طبع على نفقة

زكريا احمد سندي

منشىء ومحرر مجلة الرشديات

« حقوق الطبع محفوظة »

« بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ »

مقدمة لناشر الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم

ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والسكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به الى طرق ابواب السعادة وما خص به من الاستعداد للتدرج في معارج الرقي . فاذا شاء الانسان ظهور فضله في الخلقة ومميزاته عن الحيوان فليأخذ في تهذيب نفسه وتدريبها على احسن السجايا

ولما كانت الاخلاق هي الخطوة الاولى في ميدان الترقي اهتم بها الانبياء وتبعهم الحكماء فقال صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقال الغزالي (كما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق) .

ولقد نحا جميع المتقدمين نحو الغزالي في الحث على التربية وحسن الخلق فقال ابن المقفع (ما نحن الى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا)

وهكذا قال الحسن مشيراً الى من يطلبون العلم والحكمة قبل ان تربي نفوسهم وتهذب فقال (لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء)

وحقيقة ان الاخلاق زهرة الانسان فكلما كانت مزهرة جلية مال الناس اليها واحبوها وكانت مقبولة لديهم ولا ترقى امة الا اذا كان هناك اتحاد في تهذيب الاخلاق

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ان الاخلاق مفتاح العلوم وسلم الارتقاء وبابها التربية او بعبارة خرى تدريب النفس على الترفع عن الدنايا والاستمساك بالفضائل وان ذلك ممكن لكل انسان عنده مسكة من الحزم

قال الفارابي ان ارسطو قال في كتاب (نيقوماخيا) ان الاخلاق كلها عادات تتغير وان ليس شي منها بالطبع وان الانسان يمكنه ان ينتقل من كل واحدة منها الى غيرها بالاعتياد والتدريب

ولمعرفة طرق التربية والتهذيب والتدريب ينبغي الرجوع الى ما كتبه العلماء والحكماء في الاخلاق والتربية ومطالعة آرائهم وافكارهم ولا سبيل الى تاليف المؤلفين وفلسفة الفلاسفة ونتائج بحث الباحثين ومربي العقول الا مطالعة كتبهم ومجلاتهم وجرائدهم . وقال ابن خلدون (ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال والكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور لما تعودوه من ذلك الانتقال)

ولا سبيل الى الانتقال من الادلة الى المدلولات الا اذا عرف القارىء الوجوه التي وضعت له والى اي غاية جرى مؤلفه في كتابه . والا فمن استكثر من جمع العلوم والمعارف وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيما يقرؤه كان خليقاً بالحرمان من ثمرة العلم والحكمة

ثم ان العاقل اذا فهم كتاباً وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له ان

يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه. ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره فيكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة و كدودة القز التي تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغي لمن طلب العلم ان يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك ان يقبسه

أقول ما أشوق الناشئة الى العلوم والمعارف ولكن أين هم منها وليس بين ايديهم ما يرشدهم الى مناهلها وموارِدها وما أشوقني الى ايقافهم على جليات الامور حباً لترقيهم

فلا عمان من الآن جهد الاستطاعة فيما يعلي شأنهم وأنفحهم بثمرات الحكمة وزهرات الادب كلما سنحت سانحة من الفرص موقناً ان ذلك قربى الى الله وزلفى لديه بل اراه طبيعة لازمة للنفس لا تفارقها . واني لأبر بقسمي واتقدم الى الناشئة المصرية بكتاب أراه خير ما يهدى اليهم وهم يستقون العلم ويتغذون بلبان المعارف. وحسبي ان هديتي هي كتاب في الاخلاق للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري درسه لطلبة مدرسة دار العلوم ورأيت ان أبرزه وأنشره

ولا غرو فقد عودنا الاستاذ الحكيم ان ينفث ببراعته سحر البيان فيأتي بالدرر الغالية وكل جوهرة يتيمة . ترى الاستاذ نهج في كتابه هذا منهجاً جميلا بحيث جمع بين العلم والفلسفة واللغة مع ملاحظته اثبات اقوال علماء الاخلاق. ولا اراني مبالغاً اذا قلت ان هذا الكتاب سيخلق الافكار والعادات خلقاً آخر فيسطع نور حكمته وتتلاشى امامه دياجير الجهالة ويأخذ بقرائه الى الترفع عن الحيوانية واحتقار ما هم عليه من فساد العوائد واستصغار الاخلاق الشائعة ويزج بهم الى حياة الانسان الحقيقية حيث تقوم الفضائل ومكارم الاخلاق

هذا هو كتاب (جوهر التقوى) انشره بين طبقات الامة المصرية تذكرة لمن يخشى وحسبنا ما مضى من التفريط والتهاون في كل وسائل الرقي . قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى . ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

زكريا احمد رشدى

منشىء ومحرر مجلة الرشديات

﴿ خطبة الاستاذ الافتتاحية لطلبة مدرسة دار العلوم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أيها الطلاب ان الله عز وجل قد اجتباكم من صفوة المتعلمين . واختاركم من خيرة اهل العلم والدين . لتكونوا متعلمين اخياراً . ومعلمين اطهاراً . فاعرفوا قدر النعمة واشكروها بالخدمة وتولوها بمداومة العمل . عسى ان تنالوا الامل

ان للمتعلم آدابا وعليه واجبات . ان قام بها رفعته . وان أهملها واعرض عنها سفعت بناصيته فخفضته . ورمت به الى اسفل سافلين . من آدابه نضارة ظاهره بتعهد البدن والثياب . بالنظافة وكثرة الاغتسال . وتطهير الباطن من الادناس والارجاس والعيوب ، ومن لم يعط الجسم حظه من النظافة ، ولم يؤد للروح حقها من التخلي من العيوب ، شغلته الادران الظاهرة عن المطلوب ، وحجبته ظلمات

نفسه عن درك العلم المرغوب . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

القلب مرآة ان جلوتها تجلت فيها وجوه الحكمة والعبر ، وان خليتها تراكمت عليها الاصداء ، وذرت عليها التراب الذاريات، فلم تصلح متجلى للناظرين. ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب. العلم انما تنمو زروعه وتزهو اشجاره. وتنضج اثماره. اذا كانت في ارض طيبة صالحة لزرع الزارعين. والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا. كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون . قال بعضهم يطيب القلب للعلم كما تطيب الارض للزراعة .

ومن آداب المتعلم ان يحرص على الطلب ايام دراسته ، ولقد اصطفيتم لتكونوا معلمين ، ومن لم يحصل في ايام شبابه وهو مع الطالبين ، فما أحراه باخزي ايام كهولته وهو مع المدرسين. قال سيدنا عمر بن الخطاب تعلموا قبل ان تسودوا. وقال سيدنا الامام الشافعي رضي الله عنه تفقه قبل ان ترأس. فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه. وكما ان الآخرة نتيجة والدنيا مقدمتها. فالكبر نهاية والشباب بدايته.

ومن لم يحكم امر البداية لم يحز الفضل في النهاية. (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا). وفي الحديث الشريف فليأخذ العبد من نفسه لنفسه. ومن دنياه لآخرته. ومن الشبيبة قبل الكبر. ومن الحياة قبل الموت. والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار . ومن آدابه ان يأخذ من كل فن طرفا صالحاً ليكون ذا بصيرة في امره. وعلى بينة من اهل زمانه. مشاركا لهم فيما يعملون . ولقد من الله عليكم بهذه المدرسة. وفيها فنون العلوم. وصنوف الحكم. فاستقبلوا مايلقى عليكم بقلوب واعية. ونفوس صافية. فاشكروا الله عليها بقبول هديته. وافرحوا بفضله ومنحته . (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) . ومن آداب المتعلم ان يتواضع فان المتكبرين براء من العلم. محرومون من الفهم. قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق . ومن آدابه ان يخلص لله في الطلب. ويتوخى تكميل نفسه. ويعدها لتكميل الطالبين. اذا حل الاجل. وجاء دور العمل. الا وانكم اليوم تستقبلون اياما غير اياميكم الماضية. واحوالا غير احوالكم السالفة. فاقرأوا العلم

لتفقهوه. ولا تقرأوه لنيل الشهادة او ارتقاء الدرجات المعتادة. فان الله عز وجل يعطي الادنى عند طلب الاعلى. ومن زرع حنطة أكل وأكلت معه الدواب. ومن اختص حقله بالكلأ والبرسيم حرم أعلى الثمرتين. ونال ادنى الزرعين (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)

ولقد ضرب الله الكلب مثلا لبعض العلماء الطامعين الذين اتخذوا العقل خادم الشهوات . والعلم وقفاً على الماديات. فقال الله فيه (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه) فجدوا في العلوم لا كتسابها. واشراق نورها. وبهائها ومحاسن جمالها. ولا تطلبوها تباهيا. وتفاخراً ولا رياء وسمعة . فالدر يستخرجه من البحار الغائصون. والتبر في معدنه يرتاده الطالبون . الا وان الله جعل النشء في البلاد المصرية مواضع ارشادكم . وحقول زرعكم. فان صلحتم صلحت قلوب المتعلمين. وان كانت الاخري والعياذ بالله قلا عدوان الا على الظالمين . ولقد اصبحت البلاد المصريه والحمد لله ميداناً للتسابق. ففتحت ابوابها ونشرت اعلامها. وستكونون

ان شاء الله تعالى قادة الناشئين . وقدى للصالحين . فاعقدوا فيما بينكم عقد المحبة . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ولا تحاسدوا . ولا تباغضوا . ولا تدابروا . ولا يقولن امرؤ منكم . قد سبقني فلان حقداً عليه فذلك قول الجاهلين . واياكم والجدل الممقوت . فما ابتليت به امة الا ذلت واضحت في الهالكين . ولتعلموا ان العامة والخاصة اليكم ناظرة . والالسن لمساوئكم ذاكرة . وقلوب الجهال لمحاسنكم ناكرة . فاذا خلع العذار فاجر . قال هكذا رأيت المعممين . واذا شهد الزور . وسعى الى الفجور . واضاع وقته . ونال مقته . قال هكذا رأيت سنة اهل الدين . فاقطعوا ايها الطلاب السنة المغتابين بالفضيلة . ولا تكونوا دعاة الجهل باعمالكم . وقادة الخير باقوالكم . وابتغوا لذلك سبيلا . حافظوا على شرف هذا المظهر الديني . واحذروا ان يثلم شرفه الرفيع . واياكم ان تلجوا مواطن الشبهات . فيسلقكم الناس بالسنة حداد . فان الجهلة احرص على ذم العلماء . للحسد الكامن في صدورهم على ما اتاهم الله من فضله . وليكون ذلك حجة للذام اذا اجترح اثماً . واقترف ذنباً فيدفع عنه لوم اللائمين . ويكسر من حدة المؤنبين . الا وان طلب العلم من الجهاد . والمجاهد ليس

بعنيه الا ان يغلب عدوه. او يموت في سبيل الله. وكلما كثرت صفوف المحاربين وعدد الشجعان القادرين. كان أشد قوة للمجاهدين وانكى للمعتدين. الجهل الد الاعداء واخوانك صفوف المحاربين. واساتذتك قادة الطالبين. فاي طالب خاصم اخاه. او لاحاه. او جادله. الا لطلب الحقيقة. فقد نصر عدوه وهو الجهل. وخذل صديقه وهو العلم واليقين.

(قال ابو الدرداء رضي الله عنه من رأى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله) فأعدوا ايها الطالبون انفسكم الى ما سياتي اليكم زمامه من تربية النابتة المصرية. ولتكونوا مصابيح بكم يستضيئون. ويستضيء الناس اجمعون. ان العلماء سرج الازمنة وكل عالم مصباح في زمانه يستضيء به اهل عصره

ان الله جعل للمعلم فضلا عظيما. واجراً كبيراً. وشرفا رفيعا. قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قال رسول الله صلى الله علية وسلم لما قرأ هذه الآية (ما أتى الله عالماً علماً الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فاعرفوا قدر نعمتكم وحافظوا على آداب العلماء. واخشوا الله فى خلواتكم ومجالسكم (انما يخشى الله

من عباده العلماء) فمن اجل مقاما وارفع رتبة واعلى شرفا ممن اجتباه وهداه. وعطفه عليه وعلى ملائكته واصفيائه فقال (شهد الله ان لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) (الا وان العالم هو الداعي الى الله على بصيرة . يدعو طبقات الامة الثلاث للخيرات يدعو الاعلين بالحكمة البالغة. والادنين بالموعظة الشافية. والمعاندين واهل الجدل بالتى هي احسن (قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

القسم الاول

في المسائل العلمية

﴿ معنى الخلق ﴾

هو هيئة راسخة في النفس عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية ولا فكر فلن يكون العمل خلقاً ولا العلم ولا القدرة فكم من باذل للمال لا كرم عنده لريائه والعلم يتعلق بالجميل والقبيح

والقدرة الانسانية صالحة للضدين من بذل ومنع واقدام واحجام وعدل وجور

فالخلق انما هو صفة النفس وصورتها الباطنة وهو حسن وقبيح

فالحسن ما جمع بين الحكمة في القوة العقلية . والشجاعة في القوة الغضبية . والعفة في القوة الشهوية. والعدل بين هذه الثلاث بان تطيع الشهوات والعقل. والقبيح من خلافها ويقل من استكمل

الحسن او القبح واكثر الناس بين ذلك

﴿ حسن الخلق ﴾

حسن الخلق يرجع لكمال النفس . وكمالها بهذه الاربعة . الحكمة . والشجاعة . والعفة . والعدل . بحيث تميز بالحكمة بين الصدق والكذب في القول والحق والباطل في الاعتقاد والجميل والقبيح في الافعال وتخضع الشهوتين للعقل وتعدل بين الثلاثة

قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

الا ترى ان الايمان مناطه الحكمة او القوة العقلية والمجاهدة بالمال أثر صالح

والمخاطرة بالنفس غاية الشجاعة الصائنة للقوة الغضبية

﴿ فضيلة حسن الخلق ﴾

قال الله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال اثقل ما يوضع في الميزان تقوى الله وحسن الخلق

واتاه رجل من بين يديه ثم من قبل يمينه ثم من قبل شماله

وهو في كل ذلك يسأله ما الدين فما كان جوابه الا ان يقول له حسن الخلق ثم اتاه من ورائه يسأله فقال اما تفقه هو الا تغضب

وسئل صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل قال حسن الخلق وسئل اي الاعمال افضل قال خلق حسن

﴿ المؤثرات فى الخلق ﴾

منها التوارث عن الوالدين والمخالطة

﴿ التوارث عن الوالدين ﴾

انا نشاهد الولد قد يرث عن والديه الطول والقصر والحسن والقبح واللون والصحة والمرض والقوة والضعف وما شاكلها من الاعراض الظاهرة

هكذا يرث اخلاقا بالمنة تدعوه الخير وتوقعه في الشر وبها يميل للفضيلة او يقع في الرذيلة من ابان صغره وزمن صباه

لقد شاهدت ايام العطلة في حجرة الاشكال والتماثيل الانسانية الممثلة للامراض المعضلة من الداء الافرنجي والاثار السيئة التي ولدها ادمان المسكرات

في مدرسة الطب المصرية صبياً حديث العهد بالولادة مقرح

الجلد مشوه الوجه قد ابيضت عيناه من المرض وبرزت على جبهته بثور وقروح كأنها محرقة بالنار . ذلك من جناية والديه وسهم به رمياه ورمح به قبل تمام خلقه ضرباه فاصمياه

هكذا نرى الصغار مختلفي الاخلاق جبنا وشجاعة وكرما وبخلا وشراسة وحلما وهم لا يعقلون ولا يعلمون

فهذه المشاهدات تدلنا على انه من الاسباب المؤثرة في الاخلاق الميراث عن الوالدين

﴿ البيئة ﴾

انا نشاهد الفرق واضحا بين ولدين احدهما يسكن الجبال ويشاهد الاحجار والصخور والسباع والنمور والشواهين والصقور

وآخر درج في المدن وعاش في الترف وتربى في النعيم واحيط بالملاذ والشهوات وحفظ من الشمس وضحاها ومن القمر اذا تلاها وهو بعد لم يعلم دروس الشجاعة ولم يتلقف ممن يحيطون به الا دروس الخلاعة .

فاما الاول فتراه شجاعا قوي القلب مقداما واما الآخر فأنه جبان هلوع اذا مسه الشر فهو جزوع واذا مسه الخير فهو منوع

الا اذا تربى تربية حسنة

فذلك برهان ان للبيئة تأثيرا على الاخلاق ولقد استمسك علماء المذهب الاجتماعي في القانون بأن البيئة منبت الاخلاق ومصدر الجرائم وان الناس ابناء بيئتهم مزارع مجتمعهم تابعون لها صلاحا وفسادا

وعدوا الجريمة مرضا والقاضي طبيبا والسجن مستشفى واستصغروا العقوبة البدنية فان فائدتها عقيمة لا تستأصل الذنوب ولا تزيل العيوب

﴿ الدين ﴾

فاما الدين فأنا نشاهد لكل اتباع دين من الديانات اخلاقا وعادات يمتازون بها عمن سواهم تبعاً لعقائدهم وطوعا للاوامر الملقاة لهم من شيوخهم وعظمائهم فترى للدين الواحد اخلاقا عامة في اتباعه أنى كانوا في مشارق الارض ومغاربها وان تباعدت بهم الاماكن وتنائت بهم الاوطان كالنصارى والمسلمين واليهود في الشرق والغرب واعتبر ذلك في الامم الاسلامية القاطنين في اسيا وافريقيا واوروبا فانهم أموا قبلة واحدة في صلواتهم الخمس وتناسبت حركات صلواتهم

وكلمات دعواتهم وخضعوا بذلك لربهم وقام فريق من كل قبيل كل سنة يؤمون الكعبة ويتشاورون في امورهم الدينية والدنيوية ويتفاوضون في شؤونهم ثم يرجع المسافرون الى اوطانهم فينشرون احاديث الحج وذكر الاماكن المقدسة . كل ذلك داع حثيث لتعاطفهم وتراحمهم وتوادهم وتخلقهم باخلاق دينهم والقيام بشعائره وتأثرهم بما اضافته الجوارح على القلب من الاثار الصالحة والفضائل العالية .

وقد يؤثر دين الامة اخلاقا سيئة اذا عدل به عن سننه ونسب القائمون به له انه يحض على القعود عن الكسب او يأمر بالعطف على العشيرة وحدها واشقاء غيرها لاسعادها كما اعرفه في بعض الديانات القديمة المبيحة للربا مع غير اهل الدين وتحريمه معهم فظهر ان للدين اثرا في النفوس وهو من المؤثرات في الاخلاق

﴿ المخالطة وتأثيرها في الاخلاق ﴾

اما المخالطه فانا نشاهد الصبيان يتعودون بعادات الوالدين اذا لازموهما في غدوهم ورواحهم ودرجوا معهم ممساهم ومصبحهم فترى الولد يتلقف عوائد ابيه ويحب من احبه ويكره من كره اذا لازمه

كقول من قال

وينشأ ناشيء الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه

فان ساعده الحظ ولاحظته العناية وبعث به الى المدرسة او المساجد الدينية تعود بعوائد شيوخه واصبحت نفسه نسخة من نفوسهم مطابقة لاصلها . ونرى الرجل الذي درج بين الشجعان شجاعا وبين الجبناء جباناً وبين الصالحين صالحاً ومما يسند لسيدنا على

يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه

وللناس على الناس * مقاييس واشباه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

كما ان الوقود يوضع في النار فيتقد وفي البرد فيطفأ والماء ضربه البرد انقلب ثلجاً او مسته الحرارة صار بخاراً هكذا الانسان يكون من الصالحين والطالحين بحسب من يعاشرهم ويصاحبهم قال الامام الغزالي ان جنتك ونارك اثران من اثر من تعاشرهم . فثبت ان المخالطة من الاسباب القوية في الاخلاق وظهر ان من أقوى المؤثرات في الاخلاق الميراث عن الوالدين والبيئة والدين والمخالطة

واما العادة فانها كما يقال طبيعة خامسة

﴿ مقصود علم الاخلاق ﴾

تخلية النفس وتحليتها ـ السعادة الحقيقية والسعادة العرضية ـ
آيات قرآنية ـ دفع وهم ـ حكاية

اليك اللهم نوجه هممنا ونقدم نفوسنا ضارعة اليك ان تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين اخلصت نفوسهم من شوائب الرذائل ووضعت عنهم اصر الغوائل ووصلت لهم حبل الفضائل فنبذوا الحقد والحسد والتقاطع والتدابر والكبرياء ظهريا وقاموا اليك بجمعهم يشكرون ونستعين بك في هدايتنا للاخلاق الفاضلة علماً وعملا وتمكيناً حتي ننال السعادة مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

﴿ علم الاخلاق ﴾

مقصود علم الاخلاق ان تتخلى عن الاخلاق الرديئة الشائنة ونتباعد عن الشرور المزرية وان تتحلى بالاخلاق الفاضلة بحيث تصدر عنا الافعال الجميلة بلا كلفة ولا مشقة وان يكون ذلك على نظام طبعي وترتيب علمي

﴿ تخلية النفس وتحليتها ﴾

كم يلصق بالانسان من عيوب ورثها عن الوالدين وكم وصمة تناله من قرنائه وعشيرته واهل جيله المخالطين الا وانها لتدنس نفسه وتصميها وتخفي سعادتها وترديها الا وان هذا العلم جلاء لصدئها وحلية لجوهرها (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

الناس مختلفو الغرائز متفاوتو المشارب ورب امرىء خلا من اكثر العيوب بجبلته ومعاشرته وكثير من الناس يرثى لهم بما اتفق لهم ايام الشباب وعلق بهم زمن الصبا

والآخرون احوج لدراسة هذا العلم والتحلي بجماله والتجمل بكماله

﴿ السعادة الحقيقية والسعادة العرضية ﴾

التكاثر بالمال سعادة الجاهلين والتباهي بالرياش واللباس والزينة حظ المغرورين والتفاخر بالحلى والوان الطعام والانهماك في اللذات شأن الغافلين

ان كل ذلك لما سلم لسعادة النفوس وطريق لصلاح الروح فمن وقف في الطريق الحيواني الذي ذكرناه فقد شقي شقاء الابد

وتنزل عن رتبة الانسانية واستبدل الذي هو ادنى بالذي خير وابقى

﴿ آيات قرآنية ﴾

قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) وقال جل شأنه (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) وقال تبارك وتعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) وانما كانوا اضل من الانعام لانها لا يتسنى لها درك رتبهم وهم عليها قادرون

ولقد فعلت غاية ما خلقت له وهم مقصرون فيما هم له مخلوقون

فاي سعادة لمن دس نفسه في طوائف الحيوان. واي فرح ونعيم لمن حبس نفسه في سجن الشهوات. وزجها في ظلمات الآراء الفاسدة. والاخلاق الشائنة. من الحقد والحسد والطمع والشره وقصر العقل على ما به يتمتع الحيوان

﴿ دفع وهم ﴾

اياك ان تظن ان من يزكي نفسه ينبذ المال ولا يتجمل باللباس او لا يتعاطى من اللذات ما به يعيش كلا وانما الفارق بينهما ان

الجاهلين الاشقياء يظنون ان الشهوات غايات والفضلاء السعداء يعلمون انها مقدمات واحذر الخطأ في هذا المقام فانه مزلة الاقدام

﴿ حكاية ﴾

سئل بعض العلماء بم شرف الانسان أبتعاطي الوان الطعام قال كلا فالخنزير اكثر اكلا منه . قيل فباللباس والزينة. قال كلا فالطاووس أجمل زينةمنه. قيل فبالغلبة.قال كلا فالاسد اشدقوةمنه. قيل فبعظم الجثة. قال كلا فالفيل اعظم منه . قيل فبماذا قال بالعلم والخلق الجميل

﴿ عناية القرآن بتهذيب النفس ﴾

من تصفح آيات القرآن وتدبرها رأى انه حث على التخلق بالاخلاق الفاضلة في اكثر من سبعمائة آية كما حث على النظر في عجائب الحكمة الالهية في مقدار هذا العدد

اوليس من العجب ان نغفل عما به أمرنا الله اوليس من الخجل الا يكون لنا حظ من الاخلاق الفاضلة وبحث وتنقيب عما في العوالم العلوية والسفلية من العجائب الحكمية نبذنا الاخلاق وجهلنا عجائب الصنعة الالهية والكتاب يأمرنا والله ينذرنا . ألم تر كيف

يقول الله (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية) ويقول (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) فانظر كيف قدم صدق الوعد في اول اوصافه ولعمري ان مثل هذه الاخلاق من اول واجبات الدين

انا لا اطيل بذكر الآيات فان لذلك مكاناً آخر وكما حث عليه القرآن الشريف اهتم به الحكماء في مشارق الارض ومغاربها من مصريين ويونانيين ورومانيين ومسلمين واوروبيين وجعلوه قسما من الحكمة العملية وذلك ان الحكمة (هي معرفة الاشياء بقدر الطاقة البشرية والتحلي بالاخلاق المرضية). اما نظرية واما عملية والاولى هي الرياضيات والالهيات والطبيعيات والثانية هي تهذيب النفس وسياسة المنزل وسياسة المدينة فهي من اقسام الحكمة العملية

ولما كان مقصود هذا العلم تهذيب النفس وجب ان نبحث عن ماهيتها وحقيقتها على قدر الطاقة البشرية فنقول :—

النفس جوهر شريف مخالف لماهيه الجسم وحقيقة الا ترى ان الجسم لا يقبل شكلين معاً ولا تتزاحم عليه الالوان والاعراض

بل يتلقاها واحده واحدة فالكرة لا تقبل التربيع والطويل لا يقبل القصر الا اذا محي اول الشكلين واستبدل بآخر والشمع المطبوع لا يقبل غير نفسه مع بقائه والمعدن لا يقبل نقشين معاً والذهب لا يصاغ قرطاً وسواراً معاً وليس يكون الجسم ابيض واخضر او احمر معاً

وهذه الاوصاف تنافي احوال الروح وتغاير خواص العقول فاننا نحس بالفرح والحزن والنفع والضر ونتصور الطول والعرض ونعقل علوما ونتذكر حوادث واحوالا ولا يغاير اخرها اولها ولا يمحو لاحقها سابقها وقد يزداد المرء قدرة بعلم سابق على حوز علم لاحق ومن عجب ان تتصور الالوان والطعوم والروائح ولا تتصف بتلك الاوصاف وهذا مباين لحال الاجسام

والعقل يدرك المعقولات وهو بها مغرم وله قضايا اولية ليست عن الحواس تتعالى بهمته الى قمة الجوزاء ويتصرف بها في اكناف السماء يدرس الافلاك وحسابها والنجوم ومداراتها والطبايع وبواميسها. وليس ذلك بزائد في جسمه. انه لا يألف الا المحسوسات بالحواس مما يزيده قوة وطولا وعرضاً. يغلط الحس

فيرى الكبير كالشمس في السماء والرجل فوق الجبل الشامخ صغيراً. والساكنات من الاشجار متحركات ذلك شأن راكب السفينة وقطار البخار. وليس يدرك غلطه الا العقول والمزيف للشيء ارقى منه. والعالم الكامل ارقي من العابد الجاهل. الا وان الروح من جوهر ارقي من الجسم. كم يذم الناس ويأنفون ممن يستزيد من الطعام والشراب. ويحبون ويمدحون من تحلى بالعلوم. وجعل حياته وقفا عليها ونفع العباد ورفع البلاد

فما اعظم الفرق بين الرجلين. وما ابعد المسافة بين الجوهرين. الجسم والروح

العقل يعلم ويعلم انه يعلم ويعلم نفسه والعين مثلا لا ترى نفسها ولا تنظر ما داخلها

﴿ كمال النفس ﴾

كمال النفس بالاخلاق والعلوم فهي خاصتها التي بها تمتاز عن سائر المخلوقات وكما ان للشمس والقمر والجماد والنبات والحيوان كمالات خاصة بها كالضياء والنور وحدة السيف وثمرة النخل وكر الحصان وفره هكذا كان كمال الانسان الخاص من بين سائر

المخلوقات الاخلاق الشريفة والعلوم العالية كما ورد في حديث (تخلقوا باخلاق الله)

﴿ اقوال عامة في تهذيب الاخلاق ﴾

(١) النظر في جمل الطبيعة الالهية (٢) العمل المؤدي لحسن الخلق (٣) الطرق الاربعة عند العلماء في التهذيب (٤) القرآن (٥) اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

عرفت ايها الطالب ان الروح جوهر لطيف جميل يخالف الاجسام ولها السيطرة العظمى والسطوة الكبرى على المادة وتوابعها ولها شوق وتوق الى الجمال والمحاسن والنضارة وبهجة الاشكال لما لها من الاستعداد التام للعلوم والمعارف. وليس الاجسام ان تقبل الا اشكالا محدودة واصباغا معدودة كما قدمنا بالبرهان. فاذا استجليت المناظر الطبيعية وتبينت جمالها عرفت وجوه المحاسن وتجلت لك بدائع الجمال في القبة السماوية والكرة الارضية والعجائب الحيوية. فقد رسمت في لوح عقلك. واودعت في خزائن نفسك. ونقشت على صفحات قلبك. صور الجمال وصبغة تلك الالوان العجيبة والاشكال الربانية في الطبيعة الكونية بصبغة الجمال والكمال

(صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون)

تأمل السماء ونجومها وشمسها وهلالها وبدورها وفكر في الوانها واقدارها وتناسبها وتناسقها ثم انظر السحب المزجاة في الجو والرياح الذاريات والبرق الوامض والرعد والودق والثلج والبرد ثم انثن الى البحار الملحة والانهار العذبة وانواع المعادن وما في الجبال من جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ثم عرج على الحقول ذات البهجة للناظرين وما انبت الله في الارض من كل زوج بهيج (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) واسمع تغريد الطير في اوكارها وخرير المياه في انهارها وكن من المفكرين

المناظر الجميلة البديعة في الصنعة الالهية تعشق نفسك في الفضيلة وتدعوها للترقي في الحكمة مع العالمين الا وان بين الارواح والجمال مناسبة فاذا رأته الفته وعشقت الفضيلة والاعمال فضلا عما تزدان به من الحكمة والعلم ولذلك ورد في القرآن للحث على النظر من الآيات ما يربو على سبعمائة آية هي جواهر القرآن. الا وان الرياض الزاهرة والبساتين الناضرة ودوحاتها المزهرة واطيارها المغردة نعمة من الله ورحمة للناس ومدارس لتحسين الاخلاق وتهذيب

النفوس ولذلك تجد الامم أوفر بساتين واكثر رياضاً كلما كانت ارقى مدنية وأوسع ملكا وأوسع علماً. فعلى الامم الراشدة ان تنشيء الرياض وتغرس الاشجار وعلى طلابها ان يتبوأوا مقاعدها ويتفيئوا ظلالها ويستنشقوا عبيرها كلما سنحت لهم سانحة الراحة من الدراسة لتكون الراحة لهم تهذيباً وتأديباً وبهجة وجمالا ويبتهجوا بنضرتها ويميروا ما بين محاسن جمالها في دوحاتها وطرقاتها وهم فرحون ليقرأوا قوله تعالى (ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير) وقوله تعالى (فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها)

﴿ الاعمال المثمرة لحسن الخلق ﴾

منها المحافظة على الصحة وتدبير الغذاء ومراعاة اوقاته واجتناب التخمة

ومنها النظافة الشرعية وتكرار الاغتسال ومن عجب ان يقول الانجليزي بنتام ان من واظب على الطهارة الشرعية في الدين الاسلامي خلا ظاهره من الذنوب وبرئت نفسه من العيوب ولقد استقريت المجرمين الذين جمعتهم السجون فلم أر فيهم الا قذر الجسم

وسخ الثياب فالطهارة من محاسن الاخلاق

ومنها ترتيب الثياب وادوات المنزل والمحافظة على النظام واجتناب مخالطة الذين ساءت اخلاقهم من اهل الشر والجهال ومخالطة العلماء ومجالسة الحكماء ومجاورة الصالحين

ومنها ان يجعل المرء لكل وقت عملا خاصاً وللراحة وقتا وللشغل وقتاً

ومنها توجه القلب في الصلاة لله عز وجل حتى يشرق بالجمال وحسن الخلق كما قال تعالى (ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر)

ومنها الرياضة الجسمية

﴿ الطرق الاربعة لتهذيب النفس ﴾

(١) العقل (٢) الشيخ (٣) العدو (٤) الصديق

للعلماء في التهذيب طرق اربعة ذكرها الامام الغزالي في الاحياء فمنهم من ينصح للطالب بالاعتبار بما يلوح له في معاشريه ومايبدو لة من مخالطيه فيتخذ منها الحسن لنفسه ويصطفيه ويتجنب باطلها وينفيه ولهذه الاشارة بقوله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو

الالباب) وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرنى المنكر منكراً وارزقنى اجتنابه وأعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا لنفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

(مصاحبة الشيخ) وبعضهم ينصح للجاهل ان يصاحب شيخاً ورعا فاضلا مخلصاً كالامام الجنيد ومحيي الدين بن العربى من مشايخ الصوفية

(الاعداء) ومنهم من يجتنب ما تقوله فيه اعداؤه من العيوب ومايعيره به الشانئون في وجهه عند احتدام وطيس الخصام وانفصام عرى الوفاق فيتجنبه ورب امرىء نفعه ذم اعدائه وكان شانئه في الذم انصح له من صديقه في المدح. وعدو عاقل خير من صديق جاهل شعر

عداي لهم فضل علي ومنة * فلا أبعد الرحمن عني الاعاديا
هموبحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسونى فاجتنيت المعاليا

(الاصدقاء) ومنهم من يتخذ صديقا يبحث في اخلاقه ويفتش

عن عيوبه ويذكرها له بلطف وادب بحيث لا ينفر طبعه ولا يؤلم نفسه ولا يشعر بنقص شأن ولا عيب فاضح وانما يكون بقول لين وكلام حسن فيذكره ما نسي يزيده مما به هداه وافضل الطرق اولها فانه الدال على باقيها ولكل وجهة هو موليها وان اتخاذ الصديق وانتهاج خطة الشيخ والتنحي عما يذم به الاعداء نعمة من نعم العقل وكوكب اضاءته شمسه وبدر كامل اشرق نوره منه

وليس اجمع لمكارم الاخلاق ولا ادل على احاسن الشيم ولا اقرب لسعادة النفوس من انتهاج خطة القرآن والاقتداء به صلى الله عليه وسلم

﴿ آيات القرآن الشريف ﴾

علمت ان الله جل جلاله دعا الانسان للفضيلة بجمال العوالم ومحاسن الطبيعة وعجائب الخلقة وخلق الانسان في احسن تقويم ونقول الآن انه لم يشأ ان يدع الانسان وشأنه بلا تذكرة ولا تبصرة في العالمين كلا بل ارسل الانبياء واوحى اليهم ان علموا الناس علوم الفضيلة وجمال الاعمال

حسبك ما ترى في القرآن من الدرر اللامعة والعلوم النافعة

في الاخلاق ومحاسن الاداب واول من شرقت عليه انوارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ قال الله يرشده للتجاوز عن الهفوات ودفع السيئات بالحسنات (ادفع بالتي هي احسنُ فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يُلقاها الا ذو وحظٍّ عظيم)

وقال يدعو جميع الناس لكظم الغيظ في مواطنه مادحاً للمتصفين به من الناس (والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس والله يُحبُّ المحسنين) ولقد قد منالك انَّ في القرآن نحو سبعماية اية في الاخلاق. ولولاك فرأت الايات المتشابهات في سورة الاسراء لقضيت العجب العجاب من الدرر اللامعة والحكم البالغة من الاخلاص لله في العبادة واحترام الوالدين والقيام عليهما في كبرهما ورحمتهما وايتاء ذي القربى حقه ومواساة المساكين ومنح ابن السبيل ويكون ذلك بلا اسراف ولا تقتير وتقبيح الزنا وقتل النفس وحفظ مال اليتيم والوفاء بالعهد وايفاء الكيل والميزان ووقوف النفس عند حدها فلا تقل مالا تعلم ولا تقف في العمل مالا تعقل فنحن عن

السمع والبصر وسائر الحواس مسئولون ولها حافظون فاذا فرطنا في حفظها وتركناها ترتع في مراتع الملكة او افرطنا في منعها وحبسها فانا في الحالين معاقبون . وكم ورد في القرآن من قصص حسنة . تحض على الفضائل وتنفر من الرذائل . الا ترى ما في قصة عاد من افراطهم وتجاوزهم الحد في بطشهم وظلمهم حتى قيل لهم (واذا بطشتم بطشتم جبارين) والى مدين اذ نقصوا المكيال والميزان . فدمروا تدميراً . وذهبت دولتهم . والى قوم فرعون اذ طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد للأمم يهلكهم اذا فرطوا في الرذيلة وتسلخوا من الفضيلة .

(وانما الأمم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا)

وبالجملة فالقرآن الكريم جعل الاخلاق الفاضلة باب السعادة الدنيوية والاخروية فتارة يذكر الاخلاق الحسنة كالصدق والعفة والشجاعة واونه يذكر القصص الحسنة ومن الاول (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

﴿ ومن الثاني والذين هم لفروجهم حافظون) (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتابَ يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الاَّ يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون) هذه الايات وردت منفرة من الرشوة وحاثة على الفضيلة بالاقلاع عنها والقناعة بما اتانا الله من المال (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً) الخ هذا في العفة وقال في الشجاعة : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) للترغيب في فضيلة العلم

﴿ اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قد رأيت كيف كانت عناية القرآن بالفضائل فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس به واكرم الناس اخلاقاً حتى قال (بعثت لاتمم مكارمَ الاخلاق)

ومن عرف هذا الكتاب وعمل به جدير بذلك . قال سعيد ابن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن ابيها فسألتها عن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وذلك مثل قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وقوله (واصبر على ما اصابك) وقوله (ادفع بالتي هي احسن) وقوله (اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم)

﴿ تأديب الله للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾

ولما كُسرت رَباعيتهُ صلى الله عليه وسلم وشُجَّ يوم احد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) . وقد مدح الله النبي صلى الله عليه وسلم لما كمل خلقه فقال (وانك

لعلى خلق عظيم) وبين للناس صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن بقوله (ان الله يحبُ مكارم الاخلاق ويكره سفاسفها) ثم من مكارمه صلى الله عليه وسلم ما روى عن على رضى الله عنه قال ياعجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغى له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما اتى بسبايا طيئ وقفت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رأيت ان تخلي سبيلي ولا تشمت بى احياء العرب فانى بنت سيد قومي وان ابى كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائى فقال صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة ابن

خيار فقال يا رسول أ الله . الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفس محمد بيده لا يدخل الجنة الاحسن الاخلاق وعن معاذبن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قل ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وكان عليه الصلاة والسلام احلمَ الناس واشجعَهم واعدلهم واعفَّهم واسخاهم لا يأخذُ مما اتاه الله الا قوت عامه فيؤثر منه حتى انه وبما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويقطع اللحم مع اهله وكان اشد الناس حياء وكان يقبل الهدية ولو انها جرعة ابن او نخذ ارنب ويكافيء عليها ويأكلها . ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الأمَة والمسكين وكان افصح الناس منطِقاً واحلاهم كلاماً ويقول انا افصحُ العرب وكان كلامه نزراً قالت عائشة رضى الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزراً وانتم تنشرونه

﴿ صفحه صلى الله عليه وسلم ﴾

قال سيدنا علي رضى الله عنه بعثني رسول الله صلى

الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتنزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم امراً من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا ؟ فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب منهم ان اتخذ معهم يداً يحمون قرابتي ولم افعل ذلك كفراً ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدر او ما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وقسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحمة الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فانا احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر

﴿ اغضاءه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه ﴾

نال اعرابي بالمسجد بحضرته فهم به الصحابة فقال عليه الصلاة والسلام لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فاعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت. قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئاً ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت

وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببتَ فقل بين يديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم . فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي عنه أكذلك؟ فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني و بين ناقتي . واني ارفق بها واعلم . فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها ، هونا هونا ، حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

✻ تواضعه صلى الله عليه وسلم ✻

كان اصحابه لا يقومون له صلى الله عليه وسلم . لما عرفوا منه كراهة ذلك . وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتى صلى الله عليه وسلم رجلاً فارعد من هيبته فقال له هون

عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطاً بهم كأنه احدهم فيأتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين وكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضى الله عنها كل جعلني الله فداءك متكئاً فانه اهون عليك قال فاصغى رأسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس السيد

(القسم الثاني)

﴿ تحليل الاخلاق والامور النفسية ﴾

التربية الجسمية

لقد أفضنا فيما سلف في اثبات النفس، وابنا كيف باينت الجسم وان جوهرها أشرف وأعلى وأجل وأغلى، فلنبين في هذا الفصل امتزاجها بالجسم وعلاقة احدهما بالاخر وظهور

اثار فعله فيه حتى عسر التمييز بينهما، ودق الفارق على الناظر الحاذق، فتشابها وتشاكل الامر حتى ضربهما الشاعر مثلاً لتزاوج المعنى باللفظ في قوله

(وكم معنى بديع تحت لفظ هناك مزاوج كل ازدواج)
(كراح في زجاج او كروح سرت في جسم معتدل المزاج)

ولم يقف امد تزاوجهما وتعسّر التمييز بينهما على خيال الشعراء بل تخطّى الى افكار الحكماء فتفرقوا طرائق وكل حزب بما لديهم فرحون ففريق اهمل امر الجسم وعكف على اصلاح النفس وقال ما الانسان الا نفسه فهي القوامة عليه المدبرة له الحافظة لشكله، الساعية لتنميته تدبر احشاءه وتغذي اعضاءه وتتولى شأنه وان هو الا عناصر مؤلفة وعما قليل يلحقها الردى ويعروها البلى ولقد يموت المرء بكلمة تؤذيه ويفرح ويعيش بخبر يسره ويرضيه فالجسم وجود عدم.

وآخرون نبذوا الروح وراءهم ظهرياً كانهم لا يعيشون، واتبعوا في سيرهم امر جسمهم وقالوا ما الانسان الا الجسم وما الروح الا عرض من اعراضه كسواده وبياضه ولئن

لحقه مرض او ألمّ به ألم او نقص او تلف تعدى للنفس اثره فهو حاملها وحافظها بل جوهر عرضها

وجاء قوم اخرون وهم المستبصرون وقالوا بالجوهرين وآمنوا بالزوجين وجمعوا بين الدليلين ونظروا بالعينين فلم يغمطوا الروح حقها ، لم يسلبوا الاجسام حظها بل راعوا الجانبين وتربصوا الحسنيين ونظموا ادارة الجسم كما ادار وا مملكة الروح (وانا لذلك مختارون)

لذلك نظمنا جوهر الجسم في سمط عقد الاخلاق لئلا نبخسه حقه فلا يقولن امرؤ اني اذا هذبت نفسي وجعلتها عنوان درسي كفاني ذلك في التهذيب .

الا ان له أثرا في نفوسنا وسلطانا في عقولنا الا ترى أن المرضى اسوأ الناس اخلاقا وان الاغذية والماء والاجواء الممدة لاجسامنا اثار اتصل لنفوسنا كالقبض والبسط والفرح والحزن فانها اذا كانت رديئة وصل للجسم انحراف على مقدار رداءتها وان كانت صالحة فالصلاح اليه واصل وعليه وارد . سرفي نظام جسمك على قانون الصحة يعتدل مزاجك

وتصف روحك . فلعمرك ما العلوم التي بها حلب الغذاء من صناعة وتجارة وزراعة . ولا نسلك الذي ترجو به بقاء ذكرك وظهور اثرك بنوع ما ولا نظام املك في اجتماعها وسياستها الا بعد حفظ صحة جسمك وادارة نظام هيكلك في الرتبة وما الاموال المجموعة ولا الاخوان المحبوبة بمغنية عن المريض شيئاً وانما من ذلك مدده واصلاحه فلا وربك لا امة الا من الاسرات وانما الاسرات مركبات من افراد فاذا اعتلّت الاجسام فلا اجتماع ولا ائتلاف ولا اخلاق ولا آداب، تهذيب النفس شرع لتجاذب القلوب . وتحابّ النفوس وائتلاف الافراد . ونظام الجمعية وتعاونهم اجمعين . فالتهذيب موخر في وجوده عن وجود الافراد والافراد قوامها الصحة

واياك ان يلج في خاطرك غرابة الكلام على صحة الاجسام في علم الاخلاق او نقول نتركه لعلم قانون الصحة فانك عرفت قبلاً علاقتهما وآثار احدهما في الاخر فلئن ذكره الاطباء فانما ذلك لانه مقصود في علمهم بالذات والنفس تبع

فاما علماء الاخلاق فانهم يحثون عنه كمركب للنفس وسفينتها السائرة في بحر الحياة اللجي . ودابتها التي تركبها فالجسم فرس . والنفس راكبها والسعادة قنيصتها ولا قنيصة لمن كان فرسه . كما لا سعادة ولا اخلاق لمن ضعف جسمه الا من رحم ربك . ولقد اودع الله في فطرة الانسان من الغرائز والمشاعر والادراكات واحاطه بالمنذرات للتهلكة ما ان عمل به وسار في سبيله بنظام هدى الى طريق رشاده . الا ترى الى الحر والقر والجوع والعطش وما جبل عليه الاطفال من حب اللعب وتنشيط الاعضاء بالحركة ومصادمة الاجسام ومقارعة الابطال ان كل ذلك الا مرشد للعاطلين كم من امرئ جهل امره واستسهل الامر اليسير من شأنه كاللقمة يزدردها بلا كثير مضغ والحجرة يسكنها رديئة الهواء او ضئيلة النور والبيت يقطنه تحيط به الروائح الكريهة فاحاطت به خطوب الزمان ومزعجات الامراض او لم يعلم ما للانسان من الحكمة وما لآلام الحر والبرد من الانذار والاعلام الا ان الغفلة عن الصغائر في امور الاجسام تجر

الى الكبائر في امر النفوس والعقول فكم يحدث فساد الصحة من تغير في طباع المرء كسرعة الغضب والتهيج المزري ويقعد به عن تادية الواجبات الاجتماعية

المرض اذا حل بالجسم فزال ابقى له اثراً خالداً فيه حتى يحين اجله ويذهب عمره

لا بد من ارادة قوية يصد بها الشهوات البهيمية وعزم صارم يكبح به تلك الضاريات الهائجة حتى لا نشتري الذي هو ادنى من اللذات الخسيسة بالذي هو اعلى من الصحة وسعادة الحياة والفرح بالاخوان وبهجة الجمعية القومية ونعيم العباد في البلاد

فاعتدل في مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك ونومك ويقظتك واجعل لكل وقتاً خاصاً به، ونظم اوقات كلك كما نظم الافلاك في سيرها والنجوم في جريها والشمس في ابراجها وقلل من الشرب وحرمه بعد انقضاء الاكل حتى يهضم الطعام واجعل لك وقتاً للرياضة الجسمية كالمشي والاعمال الزراعية او الصناعية في اوقات عطلتك ليكون أجم نشاطاً

لعقلك واتم قوة لجسمك وكالحركات الرياضية في المدرسة فلعمرك انها تحرك من نشاطك وانها تفتح لك شهوة الطعام

الا ان المستبصر الحاذق من سار على منهج قانون الصحة فقل مرضه فذلك خير ممن يهمل الجسم فيقع في قبضة المرض فيضطره لتعاطي الدواء فالخير كل الخير في تدبير الطعام والشراب في الصحة

وقد اثنى الله على بعض عباده الاصحاء العلماء فقال (وزاده بسطةً في العلمِ والجسمِ والله يؤتي ملكهُ من يشاء)

✻ قوى الانسان الثلاث الشهوية والغضبية والفكرية ✻

لقد بان لك ما يجب من امر العناية بامر الروح والجسم وامتزاجهما وعلاقة كل بالاخر في الفصل السابق ولكننا لم نتجاوز فيه الاجمال في البيان ولم نتعد الدائرة المحدودة والبراهين المنظومة لكل منهما بالايجاز لقد عقدنا هذا الفصل لتبيان قوى الانسان الثلاث لتستبين السبيل ويتميز الرشد في الاعمال الانسانية من الغي في الضلالة الحيوانية فنقول

(١) انت تعلم ان الانسان يتنفس بالهواء الداخل في رئتيه الخارج منهما كما يتنفس النبات باوراقه والحيوان برئتيه او خيشومه وغيرهما وهو يتغذى بانواع النبات ولحوم الحيوان والماء كما يتغذى الحيوان بها والنبات بالعناصر الارضية وهو ينمو كما ينموان ويكبر كما يكبران وتنتظم اعضاؤه وحواسه بتناسب واتقان كما ينتظمان ويلد ويموت كما يلد ان ذلك كله وما شاكله من خواص القوة الشهوية

لذلك جبل الله عز وجل الانسان والحيوان على حب الحياة وحفظ الاجسام للتصل الى غايتها وتقوم باعمالها التي خلقت لها جاهدة ابداً ان تستزيد وتستكثر من الاغذية التي تحفظ جثمانها وتدخل فيها بدل ما حللته الحرارة الغريزية والحركة الحيوانية ليبقى قوامها الى حين فطغى بعضها على بعض في التغالب على الاقوات الصالحة المشتركة فاودع فيها قوة بها تدفع الصائل وتكبح جماح المعتدي على الاقوات والاجسام وانبت لها القرون الصلبة والانياب الحادة والمخالب الجارحة في الحيوان ومهد السبيل لصهر الحرير والرصاص وغيرها

لصنع السيف والرمح والمدافع والاساطيل الهوائية والبرية والبحرية للانسان

(٢) وتلك هي القوة الغضبية وهي اتم ظهوراً في السباع والوحوش .

(٣) ولما كانت القوتان في الحيوان والانسان تتجاوزان الحد في خصائصهما لو تركتا وشأنهما اودع الله في الحيوان غرائز تحفظ نظامهما فيه كما قال تعالى (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) وقال (والذي قدر فهدى) وتلك الغريزة توقف كل واحدة على العمل الذي جبلت ان توفيه وخص الانسان بقوة يكبح بها زمام الشهوت الهائجة ويطفي نيران الغضب المتأججة ليستقيم امره الى اجل مسمى كما قال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وتلك هي القوة الفكرية .

﴿ نتيجة ﴾

(٤) نتج مما قدمنا لك ان للانسان قوات ثلاث الشهوية والغضبية والفكرية وكل واحدة افضل مما قبلها وأخس مما بعدها الا ترى ان الغضبية لها السيطرة والقهر على الشهوية والفكرية تحكم الاوليين وتوقفهما عند حدهما فلها الرأي الاعلى والفضل المبين

﴿ منشأ الاضداد ﴾

(٥) هذه القوى منشأ سائر الاخلاق الخسيسة والشريفة والوضيعة والرفيعة والمفضولة والفاضلة فمن اعتدل فيهن فهو من الاخيار ومن جاوز الحد وطغى فهو من الاشرار

لذلك ارسل الله الانبياء والهم الحكماء وعلم العلماء والف المؤلفون وفصل الكتاب المنشئون وسيرد عليك ان شاء الله من ذلك في هذا الكتاب ما تقر به عينك ويثلج صدرك مع القارئين .

(٦) « ايضاح بارعة امثلة »

اني اشعر ان صورة البيان في هذا المقام غير جلية

فلنقرن الامثال عسى ان يتضح النهج وتستبين السبيل

﴿ تمثيل الانسان بصائد وفرسه وكلبه ﴾

(٢) ان مثل الانسان في هذه الحياة كمثل فارس وفرسه وكلب صيده فالفرس مثال القوة الشهوية والكلب مثل القوة الغضبية والفارس مثل القوه الفكرية والقنيصة هي السعادة في الدنيا والاخرة الا لا قنيصة لمن جمحت فرسه فلم يكبح جماحها ولا لمن لم يعلم كلبه اداب الصيد في الفلوات وافتناص الحيوان في الغابات فان لم يروض كلبه على الاقدام والاحجام في اوقاتها ولم يسس فرسه في سيرها يرجع من صيده بخفي حنين هكذا شأن الانسان في الحياة

﴿ تمثيل الانسان بقصر ﴾

(٢) تصور قصر امبنياله ثلاث طبقات طبقة سفلى وفيها العملة والفلاحون والصناع والطحانون والخبازون وسائر العاملين وطبقة وسطى فيها الجند المدربون والمقسمون العادلون الذين يتلقون ما وصل لهم من اعمال الطبقة السفلى ويقسمونه بقدر معلوم وعمل منظوم على سائر سكان

القصر الاعلى والاسفلين وطبقة عليا فيها الملك والوزراء والكتاب والمترجمون وارباب الدولة ولهم القول الفصل والمقام الاعلى والكلمة النافذة والسطوة التامة على القصر ومن فيه ذلك مثل الانسان فالسفلى المعدة والامعاء والكبد فهن مقر الشهوة لطبخ الغذاء وانضاج الطعام والوسطى هي الصدر وفيه القلب الموزع الدم بنظام على الاعضاء وكل له مقام معلوم وعند الغضب يغلى الدم وتحمر الاعين ويهيج الانسان والعليا مثل الرأس والعقل وقوة الحواس الخمس واللسان وهو الترجمان فانظر كيف ترتبت القوى الثلاث ترتيباً طبيعياً في جسمك فويل لمن عاش ومات وهو بها جهول وويل لمن حرم العلم بها ودس نفسه بين الجهال الغافلين الا وان ذلك هو الفارق بينك وبين الحيوان

ففز بعلم ولا تطلب به بدلاً الناس موتى واهل العلم احياء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

﴿ تمثيل الانسان بحكومة نظامية ﴾

(٣) ان الحكومات النظامية لا مناص لها من دواوين

لهندسة الطرق ونظام ارواء الارض وللزراعة وقوانين للتجارة ولخزائن المال . ان هذه تقابل القوة الشهوية في الانسان فهذه لجلب الطعام وتلك لغذاء الاجسام ولا سبيل لحفظ الاموال المجموعة وطوائف الناس المتعاونة والمزارع المروية والادوات المصنوعة الا بالشرطة والجنود والقضاة العادلون والعساكر المدربة والأسلحة النارية ذلك في الممالك النظامية يقابل الغضب في الاجسام الانسانية

فاما الملوك والامراء والنواب والوزراء فانهم يضاهئون القوة العقلية ولواحقها من قوى الانسان

﴿ تمثيل قوى الانسان بماء النيل وسدوده ﴾

(٤) لقد شاهدت نهر النيل ومجراه يبتدئ من جبال القمر وينتهي الى البحر الرومي ولولا ان الحواجز تصده والسدود تمنعه والقناطر تحفظه ما ادى للناس عملاً الا قليلاً ولا منح بلادنا زرعاً الا الاعشاب والاثلات وشوك القتاد النيل مثل القوة الشهوية والحواجز الصناعية مثل القوة الغضبية والمهندسون مثل القوة العقلية وما ترى في البلاد

من المزارع النضرات والاعشاب الخضرات والمروج الواسعات وجنات النخيل والاعناب والرمان والحب ذى العصف والريحان يقابل الفضائل الانسانية اذ اقهرنا الشهوات ونظمنا الحركات ووزنا الرغبات بموازين العقول بحيث نردع النفس اذ اطمحت لازدياد الطعام او التمادى في الخصام او التهاون عند الامور والعظام والاحجام او النكوص على الاعقاب في الامور الجسام او جنحت لاقتراف الاثام

﴿ لطيفة ﴾

بينما انا اكتب هذا اذ مرت امامي امرأة يتبعها كلب يحمل في فمه متاعاً كبيراً في صرة فاردت ان اضربها مثلا للقوة العاقلة الانسانية اذا ادبت القوة الغضبية فامنت غوائلها ونالت خيرها الا انما مثل الشهوات مثل النار تنضج الطعام بحرارتها وتضيء السبل بضوئها ونأمن تدميرها المنازل واحراقها البلاد بالصناعات الانسانية والتدبير بالعقول والاعمال المدنية

(حكم هذه القوى وضرر التفريط والافراط وعجائب التدبير الالهى فيها والايات الشاهدة على ذلك)

الا ليعجب من تدبير نفسك واحكام جسمك وبديع نظمك انظر كيف جعلت هذا الغرائز فينا لحياتنا وابقائنا غريزة حب الطعام والشراب لحياة اجسامنا وقوة الغضب لحفظها والعقل منظم ومدبر ومؤدب فالشهوة والغضب ركبا فينا لحياتنا وحفظنا اذ اخضعتا للعقول وسارتا على ناموسها الموسوم فاياك ان تطاق العنان لفرس الشهوة واياك ثم اياك ان تذر أسد غضبك يسطو بلا مشورة العقل والا كان مثلها في ذلك مثل ماء النيل فيما مر اذا جرى بلا سد يمسكه ولا عيرم يحفظه فنبت في ارض جسمك شوك الاخلاق وقتاد الفساد بدل جنات العلم وروضات الفضائل وتجنى مر الثمر من شجران الاخلاق الرديئة بدل ثمرات السعادة تجنيها من شجرات الاخلاق الفاضلة والاعمال الجميلة العالية

فمن شره في الطعام او تمادى في الخصام او قاتل الاعداء بلا روية قيل ان ذلك منه افراط واما من جمدت قريحته وبردت طبيعته وسكنت شهوته وقلت حميته بحيث

لا يتعاطى من الطعام ما يغذيه ولا يبالي بانتهاك عرضه وضياع نجده وذهاب شرفه وعز بلاده فذلك منه تفريط وكل من التفريط والافراط مذموم والطرفان مذمومان

(خير الامور الوسط حب التناهي شطط)

وكما خلق الله الماء والنار لحياتنا واصلاح شؤوننا وبهما هلاكنا اذا القينا بانفسنا فيهما هكذا كانت هذه الشهوات مقصودة من الحكيم العليم اللطيف لحياتنا وبقائنا ، فاذا انغمسنا فيها اهلكتنا هلاكاً ابدياً واورثتنا الخسار في الدارين ، ولما كان الماء والنار حسيين كان الوقوع فيهما موجباً لهلاك الاجسام

والفوتان الشهرية والغضبية معنويتان ، فالا نغماس فيهما والدخول في غمارهما يورثان الهلاك المعنوي والموت الابدي جزاء وفاقاً صدقاً وعدلاً من الحكيم العليم وللاول يشير قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ واشار لكبح جماح النفس بقوله

فيها (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) . وأكد ذلك بذم المنغمسين في الشهوات بقوله (ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) وبقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) وبقوله (أن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى) واشار الى الوسط بقوله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)

« بيان ان لكل شيء كمالاً ، وكماله فيما هو خاص به دون سواه ، وان شرف الانسان وسعادته فيما متاز به من القوة الفكرية ، تبيّن مما مر ان لكل واحد من العوالم العلوية والسفلية خاصة ، لا يشاركه فيها سواه ، وبها شرفه ، وعليها يدور محور فخره وفضله ، وان لم يصل لكماله ونقص عن درجة تمامه ، تنزل الى الدرجة الدنيا ، وانحط الى الدركات السفلى ، الا ترى ان الحصان اذا لم يحسن الكرّ والفرّ والاقبال والادبار ، تنزل من درجة الصافنات الجياد ، الى رتبة الحمير ، فاستحق الأكاف وحمل

السماد ، وكذا النخلة المثمرة اذا ما اقل نجم سعدها وادبرت ايام ثمارها ، تدات الى رتبة الاعشاب وتنزلت الى درجة الاعواد ، فاصبحت للنار وقوداً ، وللزرع سماداً ذلك لان فضلها في الأزهار وكمالها في الاثمار ، وهكذا كل شيء له خاصة لا شرف له الا بها

اذا فهمت هاتين المقدمتين فانظر هذا الانسان ليست القوة الشهوية عامة فيه وفي الحيوان والنبات والقوة الغضبية واضحة جلية فيه وفي السباع والاساد فهما لا يخصانه فليس بهما شرفه كما لا شرف للنخلة بالوقود ولا للحصان في الاكاف وحمل السماد لما شاركهما في الخصلتين الصفصاف والحمار كما شارك الانسان في الشهوة والغضب الحيوان فنتج ان شرف الانسان في كماله وهو ما امتاز به عن سائر العوالم من التمييز والفكر والمنطق والنظر

فويل لمن بطلت شهوته والويل والثبور لمن احاطت به خطيئته بالعقل والتمييز والروية سعادة الانسان وشرفه وفضله وله ضرب الله المثل فقال (الله نور السموات والارض

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله بنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم

﴿ نتائج قوى الثلاث الفكرية والغضبية ﴾

والشهوية ومضارها بالزيادة والنقصان

ومنافعها بوزنها بالميزان

قد علمت يا سلف ان الله عز وجل لم يذرأ فينا غريزة ولم يفطرنا على وجدان الا لحكمة صادقة فينا ومنفعة توتينا فالشهوة الحيوانية والغضب السبعي والمكر الانساني اودعها الله فينا للخير والمنفعة والحياة والسعادة في الدنيا والاخرة وما الشرور التي تنتج عنهن او احداهن الا لميل عن الجادة والقويم عن الصراط المستقيم والتنكب عن سواء السبيل كما قال تعالى (ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) يقول انه اسس العالم واحكم النظام واقام العدل على اساس متين وقانون مسنون وحد

محدود لتسوسوا اعمالكم وتزنوا اقوالكم على سنن اعماله وقانون نظامه فلا تطغوا في وزنها فتتجاوزوا حدودها ولا تفرطوا فيها وتنقصوها فتضلوا عن السبيل وتحسبون انكم مهتدون

ولقد علمت مما مر في المثل السابقة كيف كان العمال في اسفل طبقات الاجسام ومما فيها المعدة والكبد ونظام توزيع الاغذية الدموية على الاعضاء الجسمية في الطبقة الوسطى وبها القلب ثم كيف كانت القوة الفكرية في الطبقة العليا ومن هذا نفهم قول القدماء مسكن القوة المغذية الكبد ومحل الحيوانية السبعية القلب ومكان الفكرية الدماغ

﴿ نظام عجيب وترتيب غريب ﴾

نظمت القوى الثلاث في اجسامنا ورتبت ترتيباً حسناً جميلاً لتسلط العقل على الشهوتين لرفعة مكانه وشرف مكانته على الاثنين وتخضع الشهوة للغضب حتى لا تقع في العطب

﴿ اعتدال القوة الشهوية وخروجها عن الاعتدال ﴾

فمن ذا الذي توغل في طمعه وخرج عن اعتدال شهونه الى الاستكثار والافراط الا حقت عليه كلمته واحاطت به

حسرته فوصم بالحرص على الاموال والانكباب على الشهوات فامسكها فسمي «بخيلاً» وولع بها فكان «حريصاً» «وشرهاً» «وخائناً» وانغمس في المحرمات فسمي «فاجراً» وقد يطلق العنان للسان ولا يكبحه عن المقال فسمي ذا «مجون» وقد يغشى السر للحرص على الشهوة وقد يستخفه الجهل فيوحي اليه انه احق بالاختصاص وأولى بالتنعم بلذتها ولا حق فيها لسواه فلا يشاركه احد من خلق الله فاذا انعم الله على عبده نعمة ساءته وان مسه الشر ونزل به الضيم شمت باخيه وفرح بالشر الذي يرديه فساء مثلاً الجهول الشامت فاما اذا اقصر في شهوته واماتها بجهالته فاقل الطعام والشراب حتى اعياه الكلال وساءت منه الحال فضعف عن الاعمال وباء بالوبال فذلك باللوم في تفريطه كالذي قبله في افراطه

لقد تغالى البراهمة والبوذيون من اهل الصين والهند في تهذيب النفوس حتى عمدوا الى الاجسام فاضعفوها والى الشهوات فاماتوها وافرط المحدثون في الشهوات وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وكلاهما في

عمله مذموم

اما نحن فانا مأمورون بالتوسط في سائر احوالنا كما عليه اكابر الحكماء واوصى به القرآن فقال تعالى (يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ذلك لانهم يأكلون كما تأكل الانعام فلا يجهلون بالجمعية الانسانية ولا الاخوان في الوطنية والدينية اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون

وما اولئك المقامرون الذين تخربت بيوتهم والخائنون الذين قبحت سيرتهم والظالمون الذين تداعى مجدهم الا من نفوسهم الشهوية وافراطهم في الغريزة الحيوانية

فتش بعقلك في بلادك وانظر بثاقب فكرك في امتك المصرية وما دهمها من ذهاب ثروتها المالية اليس ذلك الا كان لنقص التربية المنزلية والجهل لمزرى بالاحوال الانسانية

رحماك اللهم فقد حاد ابناء بلادنا عن صراطك المستقيم في قوتهم الشهوية فرهن عقارهم وضاعت املاكهم وباءوا بالخزي المبين

ولو انهم علموا ان الافراط في الشهوات ليس من السعادة في شيء وان التوسط والاعتدال سعادة وخير واتقى ما ارتطمنا في احوالنا ولا وقعنا في شر اعمالنا ولو سالتهم ماذا على ذلك حلم لقالوا مناظرة الاقران ومجاملة الاخوان ومرضاة النسوان وليقال فلان وفلان

اللهم ما اهلك الناس الا الناس اولئك الذين ليس لهم الا الخزي في الحياة الدنيا بضياع ثروتهم ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون

مقصود الشهوه بقاء الاجسام و بثت اللذات ثم وراءها الا السقام وذهاب البلاد

الشهوة نار من دخلها احترق ومن استخدمها في الطبخ والاسخان كان حقيقاً بالنعمة

ومن اعتدل في الشهوات الطبيعيه وضبط نفسه عن الشهوات القبيحه وتجاوز لا رف ثم رضى بما سهل وجوده وترك « الحرص » على الفائت فاتسم بالقناعة وامسك لسانه عن اذاعه الاسرار فوصف «بكتمان» السر وتباعد عما يوجب التهمه

في ارتكاب الفواحش فوسم «بالنزاهة» و بذل المال بغير سؤال لمستحقه بلا تبذير فكان «ذا سخاء» فيحفظ نفسه و يمنع جوارحه عن اتيان القبيح حذراً من اللوم وخوفاً من العتاب فيسمى «ذا حياء» فاذا ساورته الشهوه وغالبته الطبيعة فقهرها سمى ورعا وصابرا ولسكون نفسه عند حركة الشهوات يسمى ذا دعة فان كمل نفسه بالزينة الحسنة فذلك «حسن السمت» واذا تحفظ من قبيح المزل قولاً وفعلاً و بعد عن الدناءة سمى ذا «صيانة» فان سكنت نفسه وثبتت عن الحركه الزائدة سمي «وقوراً» فاذا كسب المال من وجهه ومال الى محاسن الامور سمى «حراً» فان مال الى حسن تقدير الامور سمى ذا «انتظام»

﴿ تطبيق على القوة الشهوية ﴾

وهي خمس نصائح وحكاية

(١) ايها الطالب ادر نظرك فيما حولك وحوّل

«١» نتيجة هذا الباب : ـ ان الاعتدال ينتج ١٢ خلقاً وهي :ـ القناعة . كتمان السر . النزاهة . السخاء الحياء . الورع . الدعة والصبر حسن السمت . الصيانة . الوقار . الحرية . الانتظام

وجهك تلقاء امتك المصريه وقل لهم ما هذا الدمار وما ذلك العار اللاحق بالبلاد والخسار الضارب اطنابه على العباد ما لكم تنفقون ما لا تحتاجون، وتغرمون ما لا تطيقون، حتى اضعتم التالد وابدتم الطارف، وسلبتم مجدكم وابحتم ارضكم يقول الله (و ياكلونَ كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم)

او ما علمتم ان شهوة الطعام عامة بيننا و بين الانعام، ولقد عاشَ بها النباتُ قبل الحيوانِ وتمتع بها الهر والخنزير قبل الانسان، كما قال (انما مثلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الارض مما ياكلُ الناسُ والانعام حتى اذا أخذت الارضُ زخرفها وازيّنت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرُنا ليلاً او نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالامسِ كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون)

(٢) ولئن سألتهم مالكم تفانيتم في المطاعم وتكاثرتم في الموائد واستجدتم الوان الطعام واستكثرتموها وتماديتم في تلك الشهوات وخدمتموها ليقولنَّ انما ذلك ثمرة الغنى الوفير والمال الكثير . واذا لم تملأ الصحون حتى تمد البطون فما الفائدة في المال

واي عائدة من سعة الحال؟

الا انما ذلك مضرة للابدان وضياع للمال فهلا سلكتم اشرف الطرق واتخذتم اقرب الوسائل الى العزة القعساء والهمة العلياء · ببذل ما فضل عن حاجتكم في سعادة بلادكم وفخر امتكم ببناء المدارس وتشييد الكليات وتعميم التعليم!

(٣) قل لهم ما لكم تقامرون وتشربون الخمور وذكرهم بما قاله (هنرى) الفرنساوى المؤلف لكتاب خواطر وسوانح في الاسلام ان السلاح الوحيد الذى اتخذه اناس لابادة الجنس الشرقي انما هو الخمر!!

وقد قرر الاطباء ان خصلتين يرثهما الابناء عن الاباء و يبقيان صفة راسخة في الاجيال والاعقاب ان اختفت في جيل ظهرت في جيل اخر وان اخطأت ابا لم تذر بنيه الا انما هما ادمان الخمور والداء الافرنجى الناجم من الفجور فاذا فشا احدهما في امة اضعف الذرية وأباد البقية

ايها الطالب قل لهم لمَ تقامرون حتى اضعتم الدار و بعتم العقار وسكنتم بالايجار!

(٤) ايها الطالب قل لهم ما هذا التفاني في الملابس والتنافس في الحبرَ والبراقع والقلانس وما هذا الترف بالدمقس بالحرير ، الانسان مهما بالغ في الترقيش والتزيين لا يبلغ شأو الطاووس في جماله

قل لهم مالي اراكم اثاقلتم الى الارض · ورضيتم بالحياة الحيوانيه ولم تفهموا معني الانسانيه · ان للانسانية لذة يجهلها الاغبياء وسعادة لا يعرفها الا من ذاقها من الاذكياء

وكيف استتبع بعضكم بعضاً في صرف الاموال على البغايا والدنايا · او ما علمتم ان ذلك هلاك الابد وضياع البلد ·

الا ان اسراف الاغنياء والامراء وفجور ذوي النفوذ والجاه ممن تولوا امر العباد يدعو الى تقليد العامة والغوغاء وعمد البلاد والدهماء فتتدهور الامة الى اسفل سافلين وتصير طعمة الاكلين قال تعالى (واذا اردنا ان نُهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها حقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً)

(٥) ايها الطالب قل لهم لا تتغالوا في المهور ولا تضيعوا الاموال في الولائم الا اذا راجت صناعتكم وحفظ

في بلادكم درهمكم

(انما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الاخرة عذاب شديد)

فسيقولون انما اردنا مجدها المنتظر وفخرها العظيم قل لهم هلا بنيتم المجد على آساس؟ او تباعدتم عن هذا الوساس؟ هلا شيدتم معاهد العلوم فشكر الله والناس سعيكم واشادوا في الخافقين ذكركم ، هذه فكرة العامة والنسوان ، وصغار الاطفال ، يزينها الجهال ، ثم تخبو نارها و ينطفيء نورها كشعلة نار تشتعل ، فتغيب عن الابصار (أفمن زُين له سوءُ عمله فرآه حسناً فان الله يُضل من يشاء و يهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ ان الله عليمٌ بما يصنعون) كمال الانسان وسعادته في ذات نفسه ، وفي خلقه ، وعلمه ، وعمله ، وما عداه فاعمال الاطفال وصغار الرجال

﴿ حكاية ﴾

حكى ان شاباً ركب حصاناً واختال بزهوه واعجب بفرسه وتكبر على الاقران وانتهى به على الاخوان فقابله حكيم فقال له يا هذا كمال كل شيء فيما به اختصاصه لا يشاركه سواه وان كان الكمال في الحصان فالفخر راجع اليه والثناء وارد عليه فاما انت فانك خلي من الكمال مبرأ من المدح والثناء .

اتمدح على شرف سواك وتوصف بما به سعد الحصان وامتاز به على الاقران فلكل شيء شرف وشرف الانسان عقله وفضله المبين

قل للمتعلمين ما بالكم منغمسين في الحيوانية ضاربين الذكر صفحاً عن كمال النفس الانسانية ، انطلقتم الى الغرب وما آب بعضكم الا باحقر الاخلاق ، وادنى الرذائل ، هلا نهجتم منهج عظمائهم ، وسلكتم سبيل حكمائهم ، فالويل للبلاد ان لم تصونوا شهواتكم ، والعذاب واقع ، ماله دافع ، ان

اصررتم على العناد ولم تسلكوا سبيل السداد

فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القومَ الظالمينَ)

فارثقبهم واصطبر ، وانذرهم يوم تقع الوقائع ، وتترك الديار بلاقع ، ويدهم البلاد من ذوي الاموال كل مغتال طامع

ويقال لهم على سبيل التمثيل (اليومَ تجزون عذابَ الهونِ بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما تفسقون)

﴿ لطيفة ﴾

سألت رجلاً من اذكياء الفلاحين رأيه في المصريين وأي الجيلين خيرٌ اولئك الاباء الجهلاء الذين هم اباب الاموال ام الابناء المتعلمون فقال

نحن اكثر اقتصاداً ، وهم اقوى اتحاداً ، قد حفظنا الاموال وضيعوها ، واولئك جمعوا الخصلتين ، نالوا الحسنيين ، ولكنهم ذهب شرهم بخيرهم ونقصهم بفضلهم ، واي امة تقوم بلا مال ، واي شجاع يقدم على القتال بلا سلاح

ولا مال للفاسق المخمور ، والامة التي ذهب مالها ضاع رشدها فويل للمتعلمين المبذرين الذين كانوا في الفجور منغمسين ، يوم يُسحبون في نار الخزى على وجوههم ويقال تبكيتاً لهم

ذوقوا مسّ عذاب الخزي في هذه الحياة الدنيا والاذلال ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا يُنصرون (١)

﴿ فضائل القوة الغضبية ورذائلها ﴾

« مسائل الباب »

«١» عموم الشهوات في نوع النبات والحيوان «٢» الغضبية خاصة بالحيوان «٣» وجودها في الانسان «٤» تمثيل بالقدر

لقد فرغنا من الكلام على قوتنا الشهوية وها نحن الان نفصل ما اجمل في القوة الغضبية بعض التفصيل واليك بيانه

(١) علمت مما اسلفت لك ان قوة الشهوة مما به الغذاء

«١» مختصر هذا التطبيق هو : احتقار الشهوات . الرجوع الى مجد الامة . القمار ومضرة الخمر والزنا للبدن . التغالي في الملابس . الولائم . حكاية . لطيفة

والنمو والتوالد عامة في البشر والحيوان والنبات ، ولو سألت الدود في بطن الحيوان والصمو « المكروب » في البعوض والقوافع والاصداف في البحار لقالت هل من مزيد لشهواتنا ولذة حياتنا

(٢) فاذا تعاليت عن تلك الانواع ، وترقيت الى النمور والسباع ، الفيت هولا مهولا ، وقدرة وحولا ، وغضبا وصولا رأيت الاسود الكاسره ، والسباع الضاريه ، والبواشق المنشبة المخالب ، المحددة الاظفار ، المهيبة الانظار ، ولعمرك ما ذلك الا اثار القوة الغضبية في العوالم السبعيه

(٣) واذا ترقيت الى الانسان وشاهدت المدافع والسيوف ، والرماح في الصفوف ، والاساطيل البحرية والجيوش البرية والسفن الحربية . والنيران المتأججة ، واحتدام وطيس الحروب وتخييم الذوب السود ، فاعلم ان ذلك آثار القوة الغضبية . الانسان في الغضب شريك الاساد والسباع وما حببنا في العلو والسؤدد ولا رغبنا في الملك والعظمة ، ولا تشوقنا للرياسة وتعالينا في السياسة ، ولا نجشمنا المشاق

واقتحمنا الصعاب ، الا لما فينا من تلك القوة الاسدية .

(٤) أدخل حديقة الحيوان بالجيزة ، واقرأ القوة الشهوية في حيواناتها وطيرها ، والقوة الغضبية في نمورها وسباعها ، هناك تجشمت قوتا الانسان وظهرتا للعيان ، فهل بعد هذا بيان .

(٥) لعلك خامرك الريب من جهة التمثيل ، وظننت ان القوة الغضبية شرّ مستطيل وضرر ويل ، لما قارنا بها أنفسنا بالوحوش الكاسرة ، والسباع الضارية ، ولكن لتعلم أن هذه القوة خلقت فينا لرحمتنا ، واودعت لاصلاحنا متى وجهت الى الغاية الشريفة وسيقت الى الاعمال العالية المنفعة وذلك أنها اذا اعتدلت فصاحبها بالشجاعة موصوف ، وبالفروسية وقوة القلب معروف ، واذا خرجت عن الاعتدال فاما الى زيادة ضاره ، فصاحبها يوصف بالتهور ، وكثرة الغضب ، أو الى نقص شائن فصاحبها يوصف بالجبن وضعف النفس .

﴿ تمثيل القوة الشهوية مع القوة الغضبية ﴾

(٦) املأ قدراً بالماء ، وضعها على النار ، وراقبها أليس الماء يغلي ؟ ما دامت النار معتدلة ، فان تجاوزت النار الحد اضطرب أمر القدر ، واختل نظام العمل ، وان ضعفت وشارفت الخمود ضعفت حركة الغليان ولم تصل لمقصودك ولم تنل من الماء مرغوبك .

هكذا قوة الغضب فينا ، فالنار تمثيل قوة الغضب ، والماء تمثيل قوة الشهوة ، واضطراب القدر تمثيل قوة التهور ، والشتم والتهيج العظيم ، وبطء حركة الغليان ، تمثيل قوة الجبن وخور العزيمة ، واعتدال النار وغليان القدر بنظام ، تمثيل لحال قوتنا الغضبية واتصافنا بالشجاعة والحلم والشهامة وما شاكلها .

﴿ تفصيل رذائل القوة الغضبية ﴾

« مسائل الباب »

« الافراط » طيش . حقد . تهور . فحة . حسد . شراسة عجب . قساوة . الكبر « التفريط » صغر الهمة . جبن . عبوس

ضع تمثيل القدر على النار للقوة الغضبية نصب عينيك وانظر الآلات البخارية من رافعة للماء وجارية للسفر وحاملة للامتعة وعائمة في البحر . اليس قدورها اذا طفت نيرانها ، وتأجج سعيرها حطمت من فيها وأغرقت واهلكت راكبيها وان خمد لهبها وقلت نارها عن الحد المطلوب والدرج المعلوم قعدت بالراكبين عن السير ففاتهم المرغوب ونأت بهم عن درك المحبوب .

من ذهل من أدنى ضر فهو ذو طيش ، ومن أضمر الشر وهو لم يتمكن من الانتقام واخفاه لحين الفرص فهو ذو حقد ، فان اقدم على ما لا ينبغي من الامور فهو ذو تهور ، وان جاهر بالكلام الغليظ واحتقر الغير في عينه فهو ذو قحة ، وان كره ما انعم الله به على عباده من الخير وتمنى افساد حالهم فهو ذو حسد ، وان كان لا ينقاد الى جميل القول ولا يفارقه القبيح فهو ذو شراسة الخلق ، وان كان يرى ان كل شيء في غيره دون محاسنه ، ولا يعلو على مناقبه ، فذلك ذو عجب وان تهاون في المصائب وما يصيب الناس من النوائب فهو

ذو قساوة وان ضعفت نفسه عن طلب المراتب وقصر امله عن نيل المطالب والمعالي فهو الموصوف بصغر الهمة وان جزع عند المخاوف وأحجم عند ادنى فزع فهو ذو جبن وان قطب وجهه عند اللقاء وأظهر الكراهة وقل تبسمه فهو ذو العبوس وان استحسن فعله واستعظم نفسه واستصغر سواه فهو ذو الكبر. فانت ترى ان مثل ضعف النفس والجزع عند المخاوف أشبه شيء بخمود نار القدر وبطء حركة الطيان وان مثل الكبر وشراسة الخلق اشبه شيء بتأجج نارها واضطراب القدر على النار .

﴿ فضائل القوة الغضبية ﴾

« الفضائل »

التوسط . الشجاعة . الحلم . العفو . الرحمة . البشر . حسن الخلق . عظم الهمة . الانفة . الحمية . الغيرة . الثبت . تواضع كرم النفس . نجدة . شهامة . تحمل الكد

ومن تهاون بالالام وتحمل المشاق عند الاقدام فهو ذو الشجاعة . ومن يترك الانتقام مع القدرة وجازى الاساءة

بالاحسان فهو ذو الحلم والعفو ومن جزع بالم يصيب المطلوب واحس بود لذلك المنكوب فهو ذو الرحمة · ومن وضع على قدره المعنوية الغطاء وأظهر البشر لمن يلقاه واقبل على محادثته فهو ذو بشر · ومن لقى الناس بما يسرهم من بشر وقول حسن وصنع معروف ومواساة فهو حسن الخلق الا انها خلة المرسلين والانبياء والصالحين · ومن استصغر ما دون النهاية من معالي الامور فهو عظيم الهمة · وهو اما ذو انفة وذلك بان تنبو نفسه عن الامور الدنيئة ، واما ذو حمية ، يغضب عند الاحساس بالنقص ، واما ذو غيرة وهى اظهار الغضب مما يخشى عاره ، ومن احتمل الآلام ولم يجزع للمصائب فهو ذو تثبت ، ومن ترك المباهاة والعجب ، فهو ذو التواضع ، ومن اقتدر على حمل الكرامة فهو كريم النفس ومن وثق بنفسه عند اقتحام المخاوف ، حتى لا يخامرها جزع فهو ذو نجدة · ومن حرص على الاعمال العظام ، توقعاً للذكر الجميل فهو ذو الشهامة · ومن استعمل البدن في الاعمال الحسيّة وصبر على ذلك فهو المحتمل

لملك ، الرفيع القدر ، فانت ترى امثال الشجاعة والحلم اشبه شيء بحال انقدر عند غليانهـا ، بلااضطراب ولا ضعف ، الا ترى أن الأقدام فيما ينبغي وهو الشجاعة والسكون ، والعفو عمن ينبغي العفو عنه ، سلوك للسبيل الأقوم ، ولو أنا اقدمنا على عقاب الضعفاء ، أو الاقران عند القدرة ، أو تخلينا عن مصادمة الأعداء ، وقبلنا العار ولم نطلب عظائم الامور ، لكنا خارجين عن السبيل الأقوم ، ولكنا اشبه بالقدر المضطربة في الأولى ، أو البطيئة حركة الغليان في الثانية ، وخير الامور الوسط .

﴿تمرين على القوة الغضبية ونصائح﴾

الخجل وحب الحمد بلا عمل

ايها الطالب طالب امتك واخوانك المصرين بالجد في اعمالهم ، والاجتهاد في حياتهم ، قل لهم دعوا الكسل واقدموا على العمل ، واياكم والمزح ، فانبذوه ، واشغلوا انفسكم بما يجب من الحقائق ، ودعوا الهزل بالجد في طلب الفضائل .

المجالس غاصة بالهزل والاستهزاء والتعيير والملاحاة ، واذا رايت امراً يخجل ، مما لا يفعل او يجب ان يحمد بما لا يفعل ، فاعلم انهما جاهلان بانفسهما ، فالأول في طرف التفريط . والثاني في طرف الافراط . ايها الطالب حافظ على شرف أمتك ، وعشيرتك واخوانك في المدرسة ، وسائر المتعلمين ومواطنيك ، ولا تقعد عن نصرهم واظهار فضلهم ، وحفظ ناموسهم ، واعلم أنهم ان ارتفعوا رفعوك وان أتضعوا فأنت لا شك موضوع ضعيف .

﴿ دواء الجبن ﴾

واذا رأيت في نفسك ضعفاً وخمولاً وجزعاً ، وفرقاً فعامل نفسك بضد ما فيها ، فان مالت الى الكسل والخمول والجبن فألزمها بالاعمال ، وتجشم المشاق وتحمل الاخطار ، واركب السفن عند تلاطم أمواج البحر الخضم ، وقف في موطن تتقاذف فيه المدافع ، وتتأجج فيه نيران البنادق ، وان آنست الطيش والغرور ، واستشاطة الغضب فاخمد نار ذلك

بان تتعمد احتمال اذى من يؤديك مراراً وتكراراً حتى يصير ذلك ملكة فيك ثم اعتدل واستقم

﴿ تمثيل ونصائح لاستعمال القوة الشهوية والغضبية ﴾

﴿ ست نصائح ﴾

الحياة الدنيا بحر ونحن فيه مسافرون، والموت الساحل والسفن اجسامنا، وما أوتينا من صحة ومال وولد وسلطان شراع السفينة، والقدر البخارية غضبنا، والماء المتبخر شهواتنا وعقلنا هو المنظم للسفينة لتسير في ذلك البحر المتلاطم

والسبيل للانتظام في سيرك، في بحر حياتك، أن تقهر القوة الشهوية بثلاثة امور،

(١) ان تجتنب مجالسة السفهاء والحمقاء، والصبيان والنساء والاراذل.

(٢) وان تكثر مجالسة الزهاد وذوي الاجتهاد والورع

(٣) وان تعدل شهوتك وتقصد جميل الافعال. ثم تقهر القوة الغضبية بثلاثة امور:

(١) ان تذكر من تؤذيه ان لو كان هو المؤذي هل كنت تختار ذلك ام كنت تنفر منه

(٢) وان تتذكر طيش غيرك هل كنت ترضاه لنفسك؟

(٣) ان تكسر سورة غضبك وتصرفها الى كسر القوة الشهوية .

ولقد عير الله قوماً بتجاوز الحد في القوة الغضبية اذ قال على لسان بعض الانبياء تقريعاً وتوبيخاً (واذا بطشتم بطشتم جبارين) وقال في عاد وكبريائها (وقالوا من أشدُّ منا قوة) وقال (وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي) وذم الطرف الادنى من تلك القوة ، اذ قال في غزوة تبوك (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حراً) وقال (اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) وعير قوماً اذ قال قائلهم (قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الآية) فهذا وامثاله تقبيح لرذيلة الجبن، قاصمة الظهر ، ومدح التوسط في تلك القوة ، اذ قال (أشداء على

الكفار رحماء بينهم) وقال (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)

﴿ القوة الفكرية ﴾

هي القوة الثالثة للانسان ، و بها اختص من سائر الحيوان (على رأي) وهي تقوى بتدقيق النظر في العلوم العقلية ، والبحث والتنقيب فيها ، والتدريج في استعمال العادات الجميلة ، وترك ضدها ومداومة الاطلاع على كتب الاخلاق والسياسات والعمل بها

﴿ القول فى القوة الفكرية ﴾

(١) فضائلها ورذائلها

ضرب مثل بحكومة منظمة ضرب مثل بحال المؤلف . حكاية .
تعداد الفضائل والرذائل للقوة الفكرية تمرين عليها

(٢) « ضرب مثل للعقل الانساني بحكومة منظمة »

نصور حكومة منظمة ذات خمس ممالك لكل منها رئيس وقيم يضبط حسابها و يجمع اموالها و يسلمها لمن بيدهم الحل والعقد في العاصمة الكبرى والمجلس الاعلى ، فاذا نظموا احوالهم ورتبوا نظامهم وأتموا دفاترهم قدموها الى مفتش

الديوان ، وهذا المفتش يجمع دفاترهم و يحصر صادرهم وواردهم و يرتبها في اماكنها ، و يسلمها الى وكيل الديوان ، فاذا تسلمها وفرق وجمع ووصل وقطع ، وتأمل واستنتج اخذ صورة من نظامها ومجملاً من مفصلها ، وحفظها في خزائنها ونظمها في أماكنها ثم انطلق الى الملك ، فاطلعه على ما نظمت يداه ، وما رتبه الرؤساء في ديوانه وما نظمه اعيان اعوانه وهناك مجلس كبير وجمع عظيم ممن لهم علاقة كبرى ورابطة عظمى لا انفصام لها بسائر الممالك المعروض أعمالها المشهور احوالها فيقدم الرئيس ما لديه بين ايديهم و يعرض ما وراءه عليهم فيميزون الخطأ من الصواب و يديرون امر الحساب ، و يرفعون و يخفضون و يذلون و يعزون فاذا فرغوا من نظراتهم واتموا درس نظاماتهم ، اخذها ناظر الديوان فحكم بما هم آمرون وأبرم ما كانوا به يشيرون ذلك مثلنا في حياتنا الدنيا — فأما الممالك الخمس :—

فاولها عالم المبصرات ، والانوار والالوان والصور والاشكال ،

والقرب والبعد وامثالها ورئيسها حاسة البصر . وهي آلة النفس في ادراك المبصرات . وثانيها عالم المسموعات من الاصوات والحروف ، ورئيسها آلة ادراكها وهي السمع .

وثالثها — المشمومات من الروائح الطيبة والخبيثة ، ورئيسها حاسة الشم . ورابعها حاسة اللمس ، تدرك امثال النعومة والخشونة خامسها الذوق للمذاقة فاذا حفظت هذه القوى ما جمعت ، ورسمت ما عليه اطلعت ، وضعتها جميعا في خزائن النفس الانسانية واودعتها في اماكنها ، واستادخلك ايها الطالب في تفصيلها او اطيل عليك في تسميتها ، فانما نحن اليوم طلاب اخلاق ، وانما اقول لك ايجازاً ان النفس اذا اطلعت على ما ورد عليها من تلك الجهات فكرت فيه واجالت النظر فيما لديها من تجربة وعلم وذكاء وفهم وجهل وحمق وخمود وقلق ثم ترفع منها صورة الى اكبر قوة فيها وهي القوة المفكرة فتبرم ما قرت عليه الاراء من طيب وخبيث وجيد وردىء .

مثال من نفسي — ولأوضح لك هذا المقام بهذا المثال

اليوم يوم الخميس الثاني والعشرون من ذي القعده سنة ١٣٢٨ الرابع والعشرون من شهر نوفمبر سنة ١٩١٠ استيقظت فصليت وأفطرت فأمسكت القلم فطفقت اكتب هذا الدرس بدافع حب العمل والرغبة القوية في الكتابة . اذا صائح يصيح من اعماق نفسي ، وهو منظم الاعمال فيها احسست به يكلمني بكلام نفسي ، بلا حرف ولا صوت يقول كيف ابتدأت في العمل بعد الطعام ، وهلا ارحت نفسك ثم كتبت درسك و وهل نسيت ما تعظ به الناس ، وتقول دعوا العمل بعد الغذاء والا حقت عليكم كلمة الداء ، اذا قائل من نفسي وهو داعي العمل يقول دع الانذار والتخويف ، ولا تضيع العمل بالتسويف ، الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك فدع للملام وجانب الخصام .

فأما ما أنذرتنا به من الداء العضال ، لما فرطنا في نظامنا وكتبنا عقب غدائنا ، فانما ذلك فيمن ملأ بالطعام الوعاء ، فذلك هو المخصوص بالداء ، فاما من اكل لقيمات فما هو بمسئول . وعند ذلك ناداه منظم الاعمال يقول أيها

الفاضل صه صه ألم تسمع خفقان القلب ، ومسرعة ضرباته أقطع العمل أقطع العمل ، حينئذٍ قمت مسرعاً ورميت بالقلم

فتعجب ايها الطالب كيف كانت اغراضنا وأحوالنا ورغباتنا تتخاصم وتتجادل كانها مجلس منظم شوري مثقن، وكيف يغلب اقواها حجة اضعفها برهاناً ، وكيف يحكم الفكر الانساني بما وضح له من الدلائل ، حتى انه لينقاد للشهوات المهلكة أذا دعت داعيتها وغلب سلطانها ، فالله عز وجل منحنا حرية التفكير ، ووكل لنا تربية اغراضنا ورغباتنا ، واعطانا الفرص لنفكر وندبر ، ولعمري ان هذا لعجب عجاب (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون) .

اعمالنا الصادرة عنا نواتج تدبير انفسنا ونظام قوانا النفسية فان غلبت قوى الخير فنحن الصالحون ، وان غلبت قوى الشر كان الفساد ، وتعجب ثم تعجب كيف كانت الامم في مجالسها تتبع هذا القانون ، فان رقت اخلاقها والتأم جمعها كان الصلاح في البلاد والعباد وان ساءت اخلاقهم

وادبرت نفوسهم غاب الشر على الخير وساءت الحال

والانسان مملكة واي مملكه مملكة بديعة عجيبة

لذلك وجب علينا ان نبين في هذا المقام ، قوانا العقليه التي يرجع لها الفكر عند السير في اعمالنا فلقد تبين لك ان القوة المفكرة المنطقية فينا ليست حرة التصرف وانما هي كرئيس الممالك النظامية يبرم ما دبرته المجالس الشورية

فنحن ايها الطالب الذكي أسرى عاداتنا ، صرعى اخلاقنا فاذا قومناها فنحن المفلحون واذا تركناها ترعى في مراتع المملكة فالمفرطون هم الخاسرون

❊ حكاية ❊

قابلني مرة طالب بالمدارس الثانوية يضع التبغ في ورقة وهو يعرفني ولا اعرفه فناديته فلبى فنهيته فقال لقد عزمت ثلاث سنين على تركه والشهوات تمنعني وحكم العادة يقهرني ولقد صممت اليوم صباحاً على تركه والانسلاخ من شره فسوفت نفسي الامارة بالتوبة ، وقالت لا بأس عليك

في هذه النوبة ، فقلت لو قويت ارادتك لزالت شهوتك ، واذا عصتك شهوتك في صغرك فماذا عسى يكون امرك اذا وخطك الشيب ، وادخلك في يوم من الضعف عصيب ، فرمى ورقته وابتدأ توبته

﴿حكاية اخرى﴾

قاباني منذ تسع عشرة سنة ، رجل غادر الحكومة بالاستغناء ولم يكن لي به سابق معرفة فقال في خلال كلامه لقد كنت من عمال الحكومة فنبذتني فاخذت اتسلى بابنة الكروم وتدرجت فيها حتى صارت عادة لازمه وملكة راسخة فايقنت بالهلاك ، وكم صممت وعزمت وصليت وتضرعت ودعائي مردود . وكلما لزمت كسر بيتي ارسل لي ندمائي يقولون وماذا يضرك من الخمر اليسير فارجع لعادتي واتمادى في بلوتي ولقد مضى لي اربع عشرة يوماً رجعت فيها عن عادتي وعسى الله الا يرجع لي شقوتي

وكنت معه اذ ذاك وقت الظهيرة خلف قنطرة قصر النيل ثم انصرفنا وما ادري ما فعل الله به فهل تاب واناب

ام هوت به هاويته وصرعته غاشيته

لقد آن الاوان ان نبين لك ايها الطالب الذكي تلك القوى الفكرية عسى ان تصلح منها ما فسد وتداوم على ما صلح فنقول :—

ان القوه العاقلة الفكرية آلتها النظر واحد قواها الفهم الفارق بين الحق والباطل والادب يحركها نحو افعالها الصالحة ، والاهمال يدعها في اعمالها الطالحة وبها يكون الفكر ويختص بها الانسان

فان اعتدلت فصاحبها يوصف بجودة العقل وصحة الفكر والتمييز وان خرجت عن الاعتدال ، فاما الى النقص فصاحبها يوصف بالبلادة والعمى واما الى الزيادة فصاحبها يوصف بالمكر

﴿ تفصيل فضائل القوة الفكرية ﴾

(الاعتدال) . العقل . الذكر . الحفظ . الذكاء . الحكمة . الفهم . التمييز . النطق . الصدق . (التفريط . الافراط) السفه . الرياء . النميمة . التبذل . الغدر . الضرر . الحمق . الكذب . الجهل . المكر . الخبث . البلادة

متى صحت روية الانسان واعتدلت قوته الفكرية ، فانه يحكم على حقيقة المطلوب بما هو عليه بقوة تسمى (العقل) فاذا تذكر الصور والمعاني ، التي حفظها في خزائن عقله سمي ذ (ذكر) واذا ثبتت صور المعاني في النفس كان ذا (حفظ) فاذا كان سريع الاستنتاج سمى ذا (ذكاء) فاذا اصطفى اشرف المعلومات وعرف أجل العلوم سمى (ذا حكمة) فاذا ادرك المعاني الواردة على النفس سمى (ذا فهم) واذا فرق بين الحق والباطل والطيب والخبيث سمى (ذا تمييز) و بالكلام يقال انه (ذو نطق) واذا اخبر بالشيء على حقيقته سمى (ذا صدق) فهذه الفضائل للقوة الفكرية فمن منحه الله اكثرها ، او جميعها فقد اوتي مقاليد الحكمة ، وفتح له باب الرحمة ، وابواب الجنان (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها ألا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها) الآية

فليعض بالنواجذ عليه وليسأل الله الزيادة منها ، ومن حرم بعضها او اكثرها فليحكم أرادته وليعزم أمره وليسلط قوة الغضب على الشهوة بقوة الأرادة وصدق العزيمة ودونك

رذائل النفس لتحترس من غوائلها ولتنأى عن باطلها

ذلك ان الانسان اذا تنزل عقله عن مرتبته وعزله عن عز مملكته تدلى الى حضيض الرذائل واحاطت بـه تلك الوحوش الصوائل فانه ان استعمل الفكر فيما لا ينبغى من الاعمال عموماً سمى ذلك (سفهاً) وأن عمل ليعتقد الناس فيه وليرائي مجالسه فيه فهو صاحب خلق (الرياء) وان نقل الاقوال المكروهة بين الناس كان (ذا نميمة) وأن جالس السفهاء واطرح الحشمة وراءه ظهرياً واكثر من الهزل سمى (متبذلاً) وان رجع عما ضمن الوفاء به ووعد الناس ببذله فهو دو (غدر) وان بادر الأمور بغير توقف وسارع الى الحركة بغير حاجة سمى ذا (خرق) وان تصور الممتنع بصورة الممكن أو عرف الصواب وترك العمل به فذلك الموصوف بالحمق وأن أخبر بالشيء على خلاف ما هو عليه فهو موصوف (بالكذب) وان ترك استعمال الصواب لعدم معرفته فهو ذو (الجهل) وأن اضمر الشر للناس واستعمل الخديعة فهو ذو (المكر والخبث) وأذا عطل هذه القوى واطرحها من غير تقصير في

الخلقة فهو الموصوف (بالبلاده) هذه هي الرذائل التي اذا صادفناها في نفوسنا وجب علينا الاقلاع عنها والتملص من شرها والتخلي عن أذاها وهي مفاتيح أبواب جهنم

﴿ حكمة ﴾

اثنان يسعدان في الدنيا والاخرة · العلم وحسن الخلق واثنان يشقيان في الدنيا والاخرة · الجهل وسوء الخلق اللهم اليك مقاليد الامور فانقذ امتنا من الجهل وسوء الخلق والكذب والهزوء والسخرية والفجور والفسوق والتبذير والبخل والحمق والترف انك انت السميع العليم

﴿ تمرين على القوة الفكرية ﴾

وضح لك القول فيما سلف ان قوانا العقليه منتظمة كمجلس فمنهم اصحاب اليمين ومنهم اصحاب اليسار ولكل من الحزبين رأي وحجة يقدمها وآية يبينها فترى امثال البلادة والحمق ترجح جانب الجهل والخسران وامثال الذكاء والحكمة يرجحان قوة العلم والربح والنعيم « مثلان ضربا لنظام النفوس

الانسانيه بالمجالس النظامية الرسميه ٠ الاول لما هجم التتار على دولة الاسلام في اوائل القرن السابع بقيادة جنكيز خان واقتربوا من النهر وراء التركستان التأم مجلس اهل الحل والعقد من المسلمين وتشاوروا فيما بينهم وقالوا أيجتمع المسلمون فيتلاقون باعدائهم حوالي النهر ام يبقون في اماكنهم ويدافعون متحصنين في حصونهم ٠ فمن اختار الاول وهم الفقهاء قال ان القوة في الجماعة والخيبة في التفريق ٠ ومن اختار الثاني وهم قواد العساكر قال انهم ان دخلوا بلادنا وتفرقوا بيننا قدرنا على سحقهم متفرقين ٠ فاختار القوم اخر الرأيين فدمرت البلاد وحق القول على العباد

فهذا مثل من فساد الرأي في المجالس النظاميه ٠ الثاني لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازع المهاجرون والانصار وخطب سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه فما بان الاصلاح الا بخلافة المهاجرين ووزارة الانصار اذ قال منا الامراء ومنكم الوزراء فبايعه اذ ذاك عمر رضي الله عنه والصحابة اجمعون والتأم الجميع وتم الامر

فهذا مثل الانسانية من امثال المجالس المنتظمة . اذا عرفت هاتين اللطيفتين التاريخيتين فلتؤمن بأن عقولنا في نظامها لا تعد واحد هذين المثلين فمن ساءت فطنته وغلبت شهوته تسلطت قواه القصيرة النظر كما في المثال الاول ومن تربت قوى عقله وانتظمت أراؤه ترجحت حسناته وقلت سيئاته كالمثال الثاني وتذكر مالاحظته امس في نفسي وما ادركته في وجداني الخفي

﴿ حكاية ﴾

ولأقص عليك قصص اليوم لتراقب نفسك كما راقبتها وتلاحظها كما لاحظتها . استيقظت يوم الجمعه ٢٥ نوفمبر سنة ٩١٠ صباحاً وانا كالمصدوع من برد الم بجسمي فأردت تناول الطعام كالعادة ومناد ينادي من نفسي بلا صوت ولا حرف تبينته وفهمته يقول

اياك والطعام فالجوع شفاء المصدوع فقالت القوة الراغبة في الغذاء اننا غذاءنا ولا تقطع رجاءنا فقال ذلك المنادي

المنظم بالغذاء يوشك ان يزيد الصداع . فقالت الرغبة لكن خلو الجوف يقطعنا عن العمل ويخلد به المرء للكسل ويدوخ الانسان ويلحقه النسيان فقال المنظم اذا اجتمعت علتان يتبع الأخف فالجوع علة وازدياد الصداع أخرى ولكن الحمية رأس الدواء ولم يقل أحد ان في الصداع شفاء فقالت الرغبة

« ورب مخمصة شر من التخم »

عند ذلك انبرى الفكر وقال أما انا فسأخذ بالرأيين واستنتج من المقدمتين وأعمل بالحجتين فليأكل من الأطعمة أخفها ولا يتعاطى الخبز واللحم فتبقى للجسم قوته ويخلص من آلامه وشقوته ثم قال قضى الامر الذي فيه تستفتيان

هذا ما قام بنفسي اليوم والناس أجمعون على هذا سائرون ولو اني نبذت تعاطي الطعام ظهريا لكنت في جانب التفريط ولو اني لزمت عادتي وأفطرت كرغبتي لزاد المرض وكان ذلك افراطاً والعقل في سائر الايام لا يفتأ يفكر على

هذا القياس بحرية فكر ونظام والامر لمن غلب من الاشرار او الاخيار

﴿ ذم الافراط في القوة الفكرية في القرآن، ذم التفريط فيها ﴾

« مدح التوسط، مثال جامع للقوى، تطبيق القرآن على فضائل القوى الفكرية ورذائلها »

(١) ذم الافراط في القوى الفكرية من القرآن قال الله تعالى ذماً المنافقين (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) وقال ذماً اذ مكروا (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انّ في ذلك لآية لقوم يعلمون . وانجينا الذين امنوا وكانوا يتّقون)

(٢) ذم التفريط والنعي على المقلدين استنامتهم وجهلهم بالحقائق (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب

السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير)

فانظر كيف كان اهمال العقل وترك التفكير داعياً لدخول جهنم كما انه سبب الذلة في الحيوة الدنيا ، وقال يذم الذين اتبعوا الرؤساء في العقائد والتفكير ، وغفلوا عن انفسهم (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) وقال يذم الضعفاء الذين اتبعوا المستكبرين في جهلهم (واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار وقال في قوم (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) . وقال في من يقرءون ولا يعقلون (مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الخ . وقال (أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها) وقال في ذم تقليد الامم الجاهلية (وقالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعفٌ ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) فتعجب كيف ذم الغافل

بالآية الاولى — والذين اماتوا عقولهم واتبعوا الرؤساء بالثانية فالمستكبرين بالثالثة واتباع أمة متأخرة اخرى متقدمة بالرابعة والمنافقين والذين لا يفقهون بالباقي . (وقال أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً فأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون

(٣) طلب التوسط في القوى الفكرية من القرآن قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) ولعمري ان هذا اعدل ميزان فاذا دعوت الناس فانظر مراتبهم، فالعقلاء الاذكياء بالعلم والحكمة، والجهلاء بالموعظة الحسنة، والمجادلين الذين لم يصلوا الى طبقات العلماء ، فيعتلوا الحكمة ولم ينحطوا الى دركات الجهلاء فتكفيهم الموعظه ، فاولئك يجدي معهم الجدال بطريق الحسنى قال تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) وقال (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب) والحكمة كل كلمة وعظتك او نفعتك (وقال وما يعقلها الا العالمون) وآيات القرآن كثيرة في مدح التفكير والتعقل كقوله (ان في ذلك لاية لقوم يعقلون) (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فاقرأ الايات التى شرحت العالم مثل (أوَلم ينظروا في ملكوت السموات والارض) ومثل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) وبالجملة ففي القرآن سبعمائة وخمسون آية كلها حثّ على التفكير والنظر واستعمال هذه الموهبة الجليلة العقلية (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (مثال لجميع ما تقدم في القوى الثلاثة)

خبث دهاء	الاقدام التهور	شره نهمة	تبذير اسراف
حكمة	شجاعة	عفـــــــة	
بلادة	الجبن الخوف	ضعف الشهوة	امساك تقتير

❊ العدالة ❊

(ما الذي يتعلمه الطالب و يعمله ؟ ما الذي تعلمه الامة وتعمله الصناعات ؟ العلوم الشرقية والغربية ، لا سعادة الا بالاجتماع ، حب الغني والفقير ، والصعلوك والامير ، اسباب المحبة)

هأنت ايها الذكي الطالب قرأت ما فصلنا في القوى الثلاث، من الشهوة والغضب والفكر، وعلمت الرذائل والفضائل، فلتعلم اليوم ان اجتماع فضائلها، وانتفاء رذائلها يدعى عدالة. وعلى ذلك تكون الفضائل اربعة، الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، هذه هي السبيل الوسط والصراط المستقيم فالعدل من جمع تلك الفضائل أو قاربها والجائر من لم يرفع بها رأساً او لم يقاربها فمن اعتدل فانه يتصف بسبع خصال «١» العبادة لله وتمجيده وتقديسه وتكريم رسله واجلالهم فانه عز وجل هو مصدر النعم والخيرات والرسل والانبياء هادون مرشدون «٢» ان يكون له اصدقاء يهتم بأمرهم و يقوم بشأن صداقتهم «٣» الالفة بحيث تتفق الاراء في تدبير نظام الاعمال، مع الحب والاخلاص بين الجمعيات وسائر طبقات الامة «٤»

صلة الرحم ومواساة من نصلهم بك لحمة النسب بالبدن والمال والجاه والعلم والتعليم ﴿٥﴾ المكافأة وهي مقابلة الاحسان بالاحسان وللزيادة خير وافضل ﴿٦﴾ حسن المشاركة وهو الاعتدال في الاخذ والعطاء، وانصاف من نفسك ﴿٧﴾ التودد بحسن اللقاء وجميل الافعال لآبائه وابنائه واقربائه ولاصدقائه ومخالطيه ومعاشريه وللغريب المسافر ممن ورد عليه فليحيهم وليكرم مثواهم فاما من خرج عن الاعتدال فذلك يتصف بخمس صفات ﴿١﴾ الظلم وهو ان يتوصل الى جمع المال من حيث لا ينبغي ﴿٢﴾ الانظلام وهو الرضا بالمذلة ﴿٣﴾ النذالة وهي منقصة تنزع بالمرء الى الجمع من كل جهة ﴿٤﴾ العجز فلا يسمو الى امل ولا يتوق الى شرف ﴿٥﴾ الضجر وهو ان يجزع الانسان ويتغير سريعاً من اي شيء يرد عليه

❊ ما يعلم الطالب وما يعمل ❊

لقد فهمت لماذا خلقنا وبماذا نحيا ولم خلقت الغرائز فينا قد فصلنا لك هذا فيما مضى

تعلم من هذا ايها الطالب الذكي ان سعادة الانسان بالعلم والعمل، وعالم الاخلاق لا ينسى حظ طالبيها من العلوم، انه يسعى لائتلاف القوى ويجد لغلبة القوة العقلية، على الاخرين لتخضعا له خضوع المرءوس للرئيس، والقوة العاقلة لا تفتأ تطالبنا بعلم حقائق العالم المحيط بنا فلنعطها حظها ولو قليلاً من العلوم الطبيعية والكيماوية كالضوء والحرارة واحوال الماء والسحاب واجزاء المواد من حامض وسائل وهوائي فالعاقل لا تهنأ له حياة اذا اصم اذنيه وأغمض عينيه وعاش كالجماد لا يدرك سر من حوله ولا يقف على خبر مما يرى له صباحا ومساء ولتعرف انواع الحيوان وعجائبه وغرائب النبات وبدائع المعدن والحكم العالية الدقيقة في تركيب اجسامنا لتنال الحظين وتقتطف الثمرتين وتجني جنى الجنتين جنة العلوم لجمالها والمنافع المادية للحياة الجسمية ولتقرأ عجائب الفلك والرياضيات وما انتجت من الموسيقا وتركيبها البديع العجيب ولتعلم ان تقويم اللسان مقدم على الرياضيات فلتقرأ اللغة ونحوها ومنثورها ومنظومها وخطبها وعلم اخبار

الانبياء والاولياء والملوك وسياساتهم واخبار الفضلاء والحكماء والكرماء من سائر الناس ولتعرف الكتاب والسنة والتفسير والحديث وعلم الحكمة الباحث عن العالم ونظامه وخالقه ومدبّره والروح واحوالها وبراهينها ثم لتتخذ لك صناعة تتفرغ لها بقيه الحياة لتتقنها وتحسنها كالتدريس والامارة والصناعة من طب وهندسة وكتابة ولا يصدنك عشق العلوم عن الصناعه الخاصة كما لا تصدك الصناعة الخاصة عن العلوم فانما تلك العلوم اجمال والصنعة الخاصة تفصيل وتحقيق واما العمل فذلك ان تسوس نفسك كما قدمنا وتسوس اهل منزلك وتراع سياستك مع العالم وليكن لك علم باحوال الامم المحيطة بنا اجمالاً من غربيين وشرقيين لئلا ينفر طبعك من طبائعهم فلا تتخذ الاحسن من اعمالهم ولا تستطيع الفرار من تدبيرهم بامتك اذا ارادوها بسوء واعلم ان لكل امة من الأمم اخلاقاً واداباً وحكماً من صينين وهنديين وغربيين وروسين فاتخذ من كل شيء احسنه

﴿ ما نعلّم الامة وما تعمل ﴾

الصناعات · العلوم · الشرقية · والغربية

كما ان الصائد لا ينال فريسته والمصري لا يحصل جنته الا بحصان للاول ونهر النيل للثاني فهكذا لا يحيا المرء حياة طيبة الا اذا كان صحيح البدن يستمرىء الطعام والشراب وهذا يستدعي صناعة او مادة تقوم بحاجته والامة كالفرد اذا ضاقت سبلها وقلت صناعتها او زراعتها فانما مثلها مثل الصائد ضعفت فرسه والمصري غاض ماء نيله والانسان كلت شهوة طعامه والامـة المصرية الان احوج الى رقي الصناعة والزراعة والتجارة لسد خلل الضعف المادى لانك علمت تمثيل الامة بالفرد ولنذكر أيها الطالب ان بعض العقول الضعيفة النظر اقتصرت على علم لا تتعداه فمنهم من قرأ العلوم الشرعية او القديمة فحارب غيرهـا ومنهم من سافر الى اوربا فرجع كافراً بالشرق وعلومه وهؤلاء ضالون مضلون فلتكن كما قال الله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا

الالباب . ولقد علمت أن الصائد بلا كلب معلم قليل الفائدة فهكذا الانسان بلا شهامة ولا غيرة ولا شجاعة لا حياة له ولا عز ولا فضل وهكذا الامة التي قل نصيبها من الشجاعة ورجال القوة ضائع امرها كبير ضرها قليل خيرها كمثل النيل ضاع ماؤه في البحر والصائد مات كلبه والاسد قلمت اظفاره وقطعت مخالبه والفيل قلع نابه وامة هذا شأنها تصبح كانها كرة تتلقفها الايدي وتصير في الاذلين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون انهم يحسنون صنعاً لذلك كانت السعادة بالاجتماع والحب جماله وكماله وقد علمت أنه لا بد لكل امري من عمل يقوم به المجموع ولتعلم أن أمتنا المصرية اليوم ليس لها حظ في شيء اكثر من القضاء والمحاماة ولا تزال طفلة في الصناعات والتجارات والزراعات التي فيها غذاء الامة وهي منزلة منزلة الكلب في الصيد والنيل في الزرع والمعدة والامعاء والكبد في الجسم ونظارة الداخلية والهندسة في الحكومة

﴿ فصل الحب ﴾

(١) حب الناس (٢) تمثيل بالحشرات (٣) حب الرؤساء (٤) رابطة العلم والاخلاق (٥) رابطة الدين (٦) حب الابوين والاقارب (٧) الحب العام

على الامة تكميل ما نقصها وعلم ما جهلته وهل للمنفرد سعادة من ابن له القيام باعباء الحياة وسقي الزرع وحصده ودرسه وغربلته وطحنه وخبزه وكيف يهندس ويوقد النار ليسير القطار وينظم البريد ويغرس الاشجار ويجري الانهار مما لا يحصر القلم مقداره ولا تبلغ سعة البحر مداده فلمعرك من ذا الذي يعلم أحتياج الناس للناس من ذا الذي يعلم أن سائر الناس له خادمون فالمهندس لأجراء الانهار والفلاح لغرس الزرع وسقي الاشجار والطبيب لمداواة الاجسام بالعقاقير

فاحب أيها الطالب سائر الناس لا سيما ابناء أمتك واعلم ان بغض الناس نا شيء من حقارة النفس وصغر همتها ودناءتها وجهلها والمبغضون للناس قوم ختم الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ومن كره الناس فقد كره نفسه فانهم يكملونه

ومن كره من كله فقد كره نفسه ومن كره نفسه فهو من أجهل الجاهلين . انظر وتعجب ألم تر النحل في كواراته والنمل في بيوته والزنابير في جماعتها كيف تعاونت وتعاضدت واتحد بعضها مع بعض وكونت أمة تجمع الطعام وتدفع الاعداء . قلوبهن قلب فرد واحد وقد شاهد الناس كيف تتحد الزنابير على أن تلسع من يقربها أو يمسها بسوء لقوة الاتحاد والتضامن والتكافل وأن المجموع فرد واحد

يا حسرة على الامة التي حرمت المودة والحب بين أفرادها أولئك هم الطاغون . لا تسيء الظن بمن تولى رئاسة أو أنعم الله عليه بنعمة المال والحياة فتكرهه وتبغضه لهذا السبب . وتعلم أنه أخوك وعضدك وحافظ أمتك متى كان عادلاً صادقاً أميناً فأحبه وأعنه

ولا تتخذ غناه وأمارته ورفعته وجاهه وسيله للكراهية لأنك أن فعلت ذلك بلا سبب يقتضيه ولا ذنب يجنيه فقد دللت على صغر في نفسك وخور في عزيمتك

ولتعلم أن أبناء الامة كاعضاء الجسم فالرأس لا يسمها

الاستغناء عن العين ولا العين تستطيع السعادة بلا رجل وليست الرجل نائلة خطها ما لم يكن الرأس والقلب والامعاء ولو أنهن نطقن لقالت كل منهن . أنا حياتنا أساسها الحب وقوامها الصداقة ونتيجتها السعادة

✻ الحب العام بالتعليم العام ✻

أيها الطالب الصادق الحب أول سعادة البلاد وآخرها ولعلك شاقك أن تعرف سببه

فلتعلم أن النفوس لا تتحاب الا بالاجتماع في صفات وأحوال فكلما اقتربت تحابت وكلما تباعدت تنافرت ولذلك وجب تعميم التعليم

✻ الفضيلة والرذيلة والسعادة ✻

اذا زرعنا شجراً وتعبنا في انمائه فغايتنا ثمره هكذا اذا نصبنا في تحصيل الفضائل فالغاية السعادة

السعادة نيل المراد الشريف وراحة النفس والاستلذاذ بالفضائل ولا سعادة لفؤاد مضطرب ونفس فاجرة فما من رذيلة الا ولها في النفس سوء الاثر فالجهل أشد الآلام

والبلادة شقاء الجهال والنسيان والسهو بلية الانسان والعجب والكبر يوردان القلب موارد العطب ويصرعانه في المنقلب بالحظوظ الخسيسة والشهوات الباطلة والتعرض لمقت الماقتين واستهزاء المستهزئين والحسد يودى بصاحبه ويقطع فؤاده ويقلبه في نار السعير وبعرضه لخطر كبير والشره يعذب صاحبه ويوقعه كل يوم في نائبته · ومن ظن المال غاية ما اشتهاه والسلطان والعز قصارى مناه عذب بها العذاب الاكبر

ولا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم بما يصيب محبوبهم من الافات وما يعرض له من النكبات وهم عادمو الصبر قليلو الاجر كثيرو الهلع عظيمو الجزع فأني يكون المرء من السعداء وقد كتب نفسه بيديه في ديوان الاشقياء فالسعيد من اتبع الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم بالعفة وما يتبعها والشجاعة والحكمة واقسامها اولئك هم السعداء في الدارين عند ربهم يرزقون فرحين أذا اعتادوا ومرنوا على

ذلك حتى صار مستلذاً معشوقاً فيأنس بالمعارف العالية والطبيعات واقسامها والرياضيات وافلاكها والالهيات وجمالها ويعلم ما تصله القوة البشرية من المعارف الحكمية ويأنس بالعدل في عمله والصدق في منطقه والمروءة في اصحابه وقد أرضى أشرف العقلاء ورضى بما ساقه القضاء ولا يطمعن في رضاء سائر العالمين فأن ذلك ليس في حيز الامكان

وغاية الامر وقصاراه التعالى عن الرعونات الدنيوية والرضاء ثم الطمأنينة - يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

من هذا تعلم قول بعض علماء الغرب لبعض شبانا لا يضلك المال أذا امتلأ قلبك بالفضيلة فاملأ القلب حكمة وفضيلة والجيب فضة وذهباً فالمعدم محدود الفضائل والمثرى واسع المعروف وانا أقول

ألم تسمع اقول النبي سليمان عليه السلام وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين اه

❊ القدوة الحسنة ❊

ما من نبي او عالم او عامل الا كان قدوة على حسب درجته فاصبر واجتهد حتى تكون كالشمس وضوء النجم الزاهر في ظلمات الدياجر لتكن شمساً يضيء سناها الناظرين وسيرتك هدى وعلمك نبراساً للسارين

ايها الطالب ان حركاتك وسكناتك وغدواتك ورواحاتك اساس يبنى عليها ومقدمات لنتائج فاحذر الحذر كله ان تكون قدوة سيئة للبنين وكن خيراً القدى لخير لمقتدين حتى يصدق علينا قول السموءل

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

لا يرين الناس منك الا كمالاً ولا يظلمون منك الا على ما جمل وحلا ولا تقعن عين منك على قبيح واصلح السريرة واحسن العلانية وذر المباهاة والملاحاة والشاقة والمراء واظهر البشر وقل للناس حسناً وآت ذا القربى حقه واعف واصفح ان الله يحب المحسنين

﴿ علاج الرذائل ﴾

ان السبيل الاقوم والمنهج الاوضح في علاج الرذائل مقاومة كل واحده بضدها ، والتعود على نقيضها ، ومحاربتها بعدوها ، فالجهل بمزاولة التعليم ، والبخل بتكلف البذل ، ومداومة العطاء ، الا ان للعادة لتأثيراً على النفوس الحيوانية فضلاً عن الانسانية ، كم من حيوان اقتاد الانسان بالتعويد فسخره للركوب وامتطاه ، للحرب ، وذالله للحلب ، وساقه للحرث ، وصيره يسقي الزرع ، وقد كان قبل ذلك لا ذلول يثير الارض ، ولا يسقي الحرث ، افليس الانسان ارقى من الحيوان وقد علم البيان فكم من جبان ركب هول البحر وهو مضطرب الحركات ، هائج الامواج ، فالف الصعاب وصار شجاعاً ، وكم من بخيل تعود البذل فاعطى المال واكرم النزيل ، حتى صار طبعاً مستلذاً ، وعادة مألوفة

عجب للعادة واي عجب ، تقلب المحبوب مكروهاً وترد المألوف مبغضاً ، وتجعل السفيه حليماً ، والحليم سفيهاً ، والجاهل

عالماً والكاذب صدوقاً ، للمادة في النفوس عجائب الا ان للجوارح لاثراً في النفوس ، وللنفوس أثراً في الجوارح ، كالبحر يطره السحاب والسحاب من البحر ، وغاية التهذيب ان تصير الفضائل لذائذ والرذائل الاماً

الا ان متكلف الفضائل مجاهد، ومريد لا يزال على الصراط مسافراً لم ينل بغيته ولم يحظ بنواله

فانه فضل على القاعد الغافل ، والساهي النائم والفضل كل الفضل ان يصير المتكلف مرغوباً ، والمكروه من الطاعات محبوباً، قال في الحديث الشريف وجعلت قرة عيني في الصلاة . الا وان قوام الامر وعماده

(واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)

﴿ الغضب ﴾

الغضب ثوران يغلي به الدم فيرتفع في اعالي العروق فيحمر ظاهر البدن دفعاً للاذى قبل وقوعه وانتقاماً من

الموذي بعد حصوله ، اذا ظن القدرة على خصمه فان بدا له الضعف تبدل الاحمرار اصفرار وكر الدم راجعاً لاعماق الجسم هارباً من ايذاء الخصم ، وان تردد بين الاعتقادين وشك في الامرين ، تعاقب اللونان ، فاحمر ان قدر ، واصفر للخور ، فالدم كالجيش المحارب ، يقدم اقدام القادر ، ويحجم احجام الخائر ، (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)

وللغضب اثار ظاهرة كتغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام ، واضطراب الحركات والكلام ، حتى يظهر الزبد على الاشداق ، وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة واعمرك ان قبح الظاهر اثر لقبح الباطن ، وما الظاهر الا مرآة تجلت فيها صورة النفس وثمرة ظهرت في شجرة اصلها ثابت في القلب ، وفرعها ممتد في الجوارح على انطلاق اللسان بالشتم والفحش من الكلام مع تخبط النظم واضطراب اللفظ والاقدام على الضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن حتى اذا عجز عن التشفي رجع الى نفسه فمزق

ثوبه ولطم خده وضرب بيده على الارض وغدا كانواله السكران ، والمدهوش المتحير ، وربما سقط فاغشى عليه وقد يضرب الجماد و يخاطب الحيوان وربما رفسته دابة فرفسها او انكسر القلم فشجه كما يعامل العقلاء

هل هذا الا من آثار اضطرام نيران القلب وصورة من قبحه وكم له من صور تبرزها الايام وتجليها الحوادث مع المغضوب عليه كالحقد والحسد والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور وافشاء السر وهتك الستر والاستهزاء فهذه ثمرات افراط الغضب

واما ما يضاده فالحمية الضعيفة وثمرتها قلة الانفة واحتمال الذلة وعدم الغيرة على الحرم والسكوت عند مشاهدة المنكرات من غيره والا يغضب على نفسه فيلومها عند مقارفة الذنوب ومباشرة العيوب ، فلا يتوب ثم ان ابتلى بذلك فليثر حميته ، فكلا الطرفين مذموم والوسط ممدوح اهدنا الصراط المستقيم

❋ لطيفة ❋

ضرب مثل لقلب الانسان بحال الارض

الا انما مثل قلب الانسان كمثل سطح الارض ان خبثت انبتت القتاد والشوك والحسك ، وخبيث النبات يتغلب على طيبه وريئه على حيده ، وما مثل الهجر والحسد والشماتة والاحتقار والغيبة وهتك الستر وايذائه بالضرب وغيره الناجمة من الحقد النابتة في ارض القلب الذي افسده الغضب ، الا مثل شوك السعدان شجر الطرفاء ونبات الحنظل والعلّيق ، اذا نبتت في ارض لم يتعهدها مصلحوها ، ولم يقم عليها اهلوها ، الا وان القلب ما جنة ذات رياض وفاكهة وروح وريحان من علم نافع وحكمة صالحة

واما نار تستعر وجحيم ترمي بشرر فيحترق الجثمان وتنحل الابدان

أنق ببصرك في الفضاء . وتأمل النبات وتعجب ألم تر الى ذلك النبات الابيض المسمى بالهالوك الذي ينبت ما بين شجرات الفول فيمتص غذاءها ويبيد اثمارها وحبها تشابه

هذا العالم ، وكانت الارض مثل القلوب ، والفول مثل الفضائل والهالوك مثل سيئات الاخلاق ، كالحقد والحسد ونحن ما زرعناه ، وانما هو النامى بنفسه ، المعتدي على نباتنا المميت لمادتنا ، المبيد لاغذيتنا ، الا وان ما ضر الناس نام بنفسه وما نفعهم يعوزه القيام عليه

فاذا ابتليت بمن آذاك فلا تجعل للحقد عليك سبيلاً واذل الرذيلة من قلبك كما تزيل الحشائش الضارة للزرع بعزقها وافعل ما فعله ابو بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما حلف الا ينفق على مسطح قريبه وقد تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فوصله بعد القطيعة وانعم عليه بعد الحرمان

﴿ العجب وسببه وعلاجه ﴾

العجب استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم ، فاما من كان خائفاً وجلا مشفقاً من زوالها

ومن فرح بها من حيث انها نعمة من الله فليس بمعجب

اما سببه فالجهل واساسه الوهم الذي عليه تبنى قصور الهوى ومحاريب الجهل ، وتماثيل الفخار

فاما علاجه فان يعرف المرء ان ما تباهى به بين الاقران لا يخلو من احد امرين اما ما يدخل تحت اختياره ويظهر بعمله ويحصل بسعيه كالعبادة والصدقة واصلاح الامة وسياسة الجمهور وحشد الجنود ورفع البنود ، ونظام الموازين ، وتعليم الناشئين فهل جهل ذلك المسكين انه مخلوق ضعيف مركب من عناصر مقهورة موءلف من امشاج في ماء مهين ، وماذا عمل ان هو الا الة مسخرة ، وطينة محيرة وصورة مجندره وصنعة مدبره وآية مصغرة وعظة وتذكرة ففاجر من فجره او شاكر من بره

واما ما لا عمل له فيه فان كان جمالا او قوة او نسباً او ميراثاً من كل ما لا اختيار له في حصوله ولا سبب اوصله اليه فان الامر اهون والمعجب اذاً اشد جهالة واخسر صفقة واقل فكراً وابعد ضلالا واسوأ حالاً

ومن اجهل ممن يعجب بما لم يفعل وان المعجب مغتر بنفسه آمن زوال نعمته حيث لا امان قتل الانسان ما اجهله

﴿ تفصيل الاسباب ﴾

الجمال · القدرة · العلم · النسب · الميراث · الملك ·

﴿ العلاج ﴾

التأمل والتذكر والتدبر واذكار ان الموت شامل والاعتبار بمن مضى من الامم فاخلوا لديار فصارت قاعاً صفصفاً بعد العز والبأس ، ورسوخ الدلالة ، وتمام الزينة

﴿ الاحاديث ووازع الدين ﴾

قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا الخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك ، العجب ، وقيل لعائشة ، رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئاً قالت اذا ظن انه محسن

وقال الله تعالى (ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئاً وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه)

﴿ الكبر ﴾

الكبر أن يرى الانسان نفسه فوق غيرها بعلم حصله او عمل اتقنه او اصل نسب له او جمال اطفاه او مال اثراه او قوة اعزته او عشيرة نصرته ، فهذه اسباب تدعو اولا للاعجاب ، بنفسه ، واستحسانه صفته ، والفرح بما يراه اهلاله ، من صفة الكمال والجمال ، وقد يكون لحقد ملأ فؤاده ، او لحسد اغضبه ، او لرياء اعتراه ، فهذه اربعة اسباب تدعوه للكبرياء اما العجب فقد تقدم ذكره وسبق شرحه

اما من حقد على من آذاه ، واضمر له السوء واستبطن له الشر فانه يتكبر عليه ويزدريه ، وهكذا الحاسد على النعمة الفاقد للفضيلة ، والمرائي الذي يطلب الرفعة والسودد ، انه لا يقبل العلم امام الجالس ، ولا يقر بالفضيلة للمحسودين ولا يسمع النصيحة في ملأ من العالمين

﴿ العلاج ﴾

فليعالج المتكبر نفسه ، بالعلم والفهم ، وليتذكر انه مكون

ضعيف مربوب ، وليواظب على اعمال المتواضعين ، وليحذر التنزل والمذلة والابتذال ، فاذا تقدم لاخوانه وقرنائه فسوى تعالهم ، واكرم مثواهم ، وسارّهم ، وسرّهم ، وغدا الى باب الدار معهم ، فهو المتواضع ، وان تنزل الى اسفل الدرجات ، وعامل من تحت درجته معاملة اخوانه ، أو اخذ يتملق ، او يتذال ، فقد تنزل الى الاسفل ، واضحى من المتبذلين

فليعالج المتبذل نفسه ، برفعها ولينف المتكبر أسبابه كبريائه من الحسد القاتل ، والحقد المكين

﴿ ذم الكبر وايضاحه ﴾

الكبر شجرة اصلها ثابت في القلب ، وفرعها في الجوارح ، وثمرتها في الاعمال ، كان يترفع عن مجالسة نظيره ، ويأنف من مخالطته ، ولا يساويه في مجلسه ، واذا ناظره عنف ، وان كلمه انف ، ويتقدم عليه ان ماشاه ، ولا يقبل منه نصيحته ان هداه ، وهذا الخلق غائلة العباد والزهاد ، وبلية الوعاظ والعلماء ، فضلاً عن العامة الجهلاء ، وهو اعظم المحن ، واكبرة البلايا والاحن ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة

من في قلبه مثقال ذرة من كبر) والانسان ظلوم جهول قد يسوقه الغرور للتكبر على الله فيقول انا ربكم الاعلى . وقد يرى نفسه احق بالرسالة ، واولى بالشفاعة ، فيقول ولم أُرسل المرسلون ، واصطفى النبيون ، ومُنع من تلك النعمه فلا يتبع نبياً ولا يرى له رسولا . وقد يرى الناس دونه خلالا ، والعامة حميرا ، فيعظم خطبه ويفحش ذنبه

﴿ الفرق بين العجب والكبر ﴾

المعجب يُرى مُدلا بنفسه ، فرحا بسمته ، وان كان غيره اسمى في نظره ، واعظم في معتقده . والمتكبر اعظم جرماً واكبر اثماً فهو يريد ان يرى غيره دونه وهو القاهر فوقهم وقد ذمه الله تعالى فقال (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بان كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين وقال والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا

يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) وقال عليه السلام (اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء) وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهما كما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض ومن فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانت حلقة فوضعت فيها لا اله الا الله لقصمتها ثم آمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء) وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطراً) وروى عنه عليه السلام انه (بصق يوماً على كفه ووضع اصبعه عليها وقال يقول الله يا ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين والارض منك وجيب جمعت ومنعت حتي اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وأنى اوان الصدقة)

﴿ الحسد ﴾

الحسد هو كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه ومن تمنى مثل نعمة غيره فهو الغابط والمنافس وهو ليس بحاسد

﴿ أسبابه ﴾

(١) العداوة (٢) التعزز (٣) الكبر (٤) العجب (٥) الخوف من فوت المقاصد المحبوبة (٦) حب الرياسة (٧) حب النفس وبخلها فيثور الحسد في النفس على مقتضى الاسباب

فمن كره امرأ ثقلت عليه نعمته وسرته بليته واستعذب شقاءه ومرت عليه حلاوته ومن لم تلن شرّنه دامت حسرته

وكم من امرىء كانت نعمته الموهوبة وسعادته المستحدثة وسيلة الاستعلاء فيثور الحسد في قلب قرينه ويأبى الا التعزز عليه فلا يخضع لاستطالته ، ولا يصغر لعظمته ومن كانت الكبرياء صفة نفسه لم يستطع ان يرى المتكبر عليهم ، يساوونه ولم يطق صبراً على نعمة لهم حدثت وسعادة اقبلت ، ليبقى عليهم ظاهراً وفوقهم قاهراً ذلك بسبب الكبر الذي في

نفسه ، وان لم يتعاظموا عليه وكم من فتى اثار الحسد في قلبه ، واشتعل نيرانه والهب سعيره ، تعجبه من ترادف النعم على من يخالفونه ، واستغرابه من تتابع المواهب وتواصل المنح وتوارد اللطائف وقد يشفق من زوال محبوب يبتغيه او فوات مطلوب يرتجيه ، اذا ذاق معارفه نعمة من بعد ضراء مستهم فينا فسونه على مطالبه ، ويزاحمونه في سلوك سبيله ، كارض يملكها او عرس يبنى بها ، او درجة يرقاها او نعمة يلقاها ، ومن الناس من يحسد حباً للرياسة وما يخشاه من وهن سلطانه ، وانقضاض بنيانه ، وتفويت عزه واستقلاله واخرون خبثت نفوسهم ، وضل سعيهم اذ يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله بلا سبب الا مرض نفوسهم وشحها وسوء طويتهم ، يودون ان لو منع الله الرحمة عن العباد لا يطلبون الانفراد بها ، ولا السيادة على غيرهم ولكن انفسهم ضيقة العطن ، عديمة الفطن قليلة الخير ، ميتة الافئدة اولئك هم الحاسدون الضالون

وكلما تضافرت الاسباب بالاجتماع في المجالس ، والتحاور

في المنازل ، والاشتراك في الحرمة والاقتراب بالنسب او المصاهرة ، كان اضطرام نار الحسد اشد ، وامتداد لهيبها أسرع وازداد سعيرها ، وطغى شررها وغلت مراجلها فزاد احراقها لمواد المحبات وابادتها للذات المودات ، وكانت الحياة حياة الاشرار اذ ذاك شراً وبيلاً ، وعذاباً اليما قال صلى الله عليه وسلم (الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب) وقال عليه السلام (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) وقال انس كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل الجنة ، فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر له ثلاثة ايام في بيته ، فلم يجده يصلي بالليل فاحتقر عمل الرجل ، فسأله ما الذي بلغ بك ، فقال هو ما رايت

غير اني لا اجد على احدٍ من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير اعطاه الله اياه ' قال عبد الله ' فقلت هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق) وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك أذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامضِ واذا حسدت فلا تبغِ) وقال الشاعر:

يا احمد اقنع بالذي اوتيته ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
واعلم بان الله جل جلاله لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

لا تسلط على قلبك نيران الحسد التي يثيرها اسبابها وتفكر في مصائبه ورذائله ' وما ينجم عنه من العذاب الاليم في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى

' من ابتلى بالحسد والعياذ بالله كيفما كانت اسبابه تقطعت به الاسباب وازرى به الكمد وتنغص عيشه الا ترى ان نعم الله مترادفة لا ينقطع مددها ولا ينفد خيرها ' ومن هذا اشقى ممن عد نعم الله شقاء عليه وجنته نار عذابه ' ودار شقائه فهل يمسك الله المطر خشية عليه او يمسك الكواكب

لئلا ينقطع فوءاده ·

فالشمس والقمر والنجوم والجبال والارض والانهار مسخرات للعباد ، وهنائهم وراحتهم وسعادتهم ، فسبحانك اللهم اشقيت قلوباً بالرحمات ، اذ نسوا انفسهم فتاهوا في اردية الضلالات فعدوا نعم الله عليهم نقما ، وحسبوها لهم شقاء دائماً فما اكثر نعم الله وما ادوم شقاءهم · وقلت

وفي القلب نيران وفي القلب جنة
وما اكثر الالام الا من الفكر

وكفى الحاسد عذاباً انه معذب بنعيم غيره ، معاقب على الحسد بنفس الحسد ، فلذلك كان طول الحياة له شقاء وموته راحة له ، فكما يتمنى الحاسد زوال نعمة المحسودين يشفي غليل صدور محسوديه ان تطول حياته فيطول عذابه كما قيل :

لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسوداً على نعمة فانما الكامل من يحسد

﴿ الثبات والعزيمة ﴾

الثبات المداومة على العمل والعزيمة من احوال الارادة والثبات حال داعية لادامة العمل الى النهاية

كم في الناس من عامل ، وقل اولو العزم ، لم ينل الرغائب ويحظ بالمطالب الا من صحح العزم وشمر عن ساعد الجد وامتطى العمل .

دراك المعالي في اقتحام المخاوف ونيل الاماني في ارتقاء التنائف
وما نال مجداً من ادار عروسه وباتت تعاطيه سلاف المراشف

وقد قلت

الى ذروة العلياء يا سائق الحرف فاني شممت اليوم منها شذا العرف

وما جمع امرؤ امره وجد في طلب ما يروم ، إلا خضعت له الامال ودانت له المعالي وفاز بالسعادة والكمال وتأمل كيف مدح الله اولى العزم فقال (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) وقص عليه انباءهم وكان قصارى امرهم انهم فازوا بالسعادة هم والتابعون وخسر اولئك الجاهلون

﴿ الصبر ﴾

الصبر ثبات الباعث للخير والفضيلة في مقابلة الباعث للشر والرذيلة وذلك ان الانسان يشارك الدواب في الشهوة والغضب ، وليس للصبي ولا للمجنون ولا للبهائم من داع يدعو لقهر الشهوات ، ولا من رادع يردع عن اللذات ، الا انما يظهر جهادهما ويبين التغاضي عنهما والتخلي من غائلتهما لمن عقل واستبصر وادكر وتفكر ورأى سبيل الرشد فاتخذه سبيلاً وسبيل الغي فلم يتخذه سبيلا

و بذلك يمتاز العاقل من الانسان ، عن المجنون والصبي والحيوان ، فالحيوان اسير شهواته والعاقل من الانسان عليم بما يعقب الامر من الاذلال وما يجر من الوبال وهنالك تبتدي داعية المجاهدة وتتولد في النفس حال تدعو للمقاومة والمناضلة فهذه الحال هي المسماة بالصبر الناجمة من العلم والهداية الداعية لترك الضلال والغواية الا وان العلم بغبة الشهوات وغائلة اللذات باعث لقيام حال النيات بالانفس

وتلك الحال ثمر الاعمال فالعلم شجرة والاحوال اغصانها والاعمال اثمارها

﴿ اسماء الصبر ﴾

الصبر في الاخلاق كالحديد في الصناعات والملح في الطعام ، فلا ترى طاعة ولا خلقاً حسناً الا والصبر مفتاحه وعماده وقوامه الا ترى كيف شمل الاعمال البدنية والاحوال النفسية فمن احتمل المرض والالم والجراح المصمية وقام بالاعمال الشريفة في عبادة يقيمها او زراعة يتقنها او صناعة يحسنها او تجارة يديرها او ارادة ينظمها فهو من الصابرين في النوعين · الاحتمال والاعمال

﴿ العفة ﴾

ومن زكى نفسه بالتباعد عن مقتضى شهوتي البطن والفرج فهو العفيف ، حتى لا يطيع داعي اللهو والزينة ولا يتدانى من المحرمات ، ومن تعالت نفسه عن الخضوع لنائبات الدهر سمي صابراً ، والا فهو الجازع والهلوع ، برفع

الصوت وضرب الخد وشق الجيب

﴿ ضبط النفس والبطر والمرح ﴾

واذا لم تستفزه داعيات الغنى ، فهو الضابط لنفسه ، والا فهو البطر المرح

﴿ الشجاع والجبان ﴾

وان قاوم الاقران في ساحة الحرب والميدان فهو الشجاع ، والا فهو الجبان . وان كظم غيظه ، ولزم السكينة عند اهتياج الغضب ، فهو الحليم والا فهو الاحمق السفيه

﴿ كتم السر وافشاؤه ﴾

واذا اخفى الكلام لاقتضاء المقام ، فهو الكتوم للسر والا فهو المفشي للاسرار

فان اطمأنت نفسه فلم تجزع على فضول العيش ، فهو الراضي والا فهو الحريص

﴿ القناعة والشره ﴾

ومن اكتفى بالقليل فهو القنوع ، وضده الشره ، فانت

من هذا ترى ان الصبر ما ترك بابا من الاخلاق الا ولجه ولا خصلة الا قرعها، فهو جدير بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن الايمان (هو الصبر)

ولما كانت احوال الانسان لا تخلو من مكروه يحتمله او محبوب يشكر عليه، روى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال (الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) ولما كان المصبور عليه اما شهوة واما غضب، كان الصوم صبراً عن شهوتي البطن والفرج، لا الغضب ولذا ظهر سر قوله صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) فيكون الصوم ربع الايمان، وقد يراد بالايمان ما يشمل العلم والعمل، ولا عمل الا مع الصبر تركا او فعلا، فيكون الايمان راجعاً ليقين وعمل على مقتضاه، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم (من اقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولان تصبروا على ما انتم عليه احب الي من ان يأتيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم، ولكني اخاف عليكم ان تفتح الدنيا

عليكم بعدي ، فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بثوابه . ثم قرأ قوله تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال (الصبر والسماحة) وقال صلى الله عليه وسلم (الصبر كنز من كنوز الجنة) وعن عطاء عن ابن عباس قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمؤمنون انتم فسكتنا فقال عمر نعم يارسول الله . قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة) وقال تعالى (والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس) اى المصيبة والفقر والحرب

﴿ لطيفة ﴾

الصبر واحد وانما اختلفت الاسماء لاختلاف المواطن ، كضوء الشمس يسطع على الاشجار والازهار ، والثمار فاختلفت الالوان ، لتعدد الاشكال ، واحذر ان تضل في الالفاظ

وارع المعاني واحذر شبهات الاصطلاحات الواردة ·

﴿ الشجاعة ﴾

الشجاعة هي الاقدام على الاهوال مع الروية والتدبير ، ومن اقدم بلا روية أو أحجم ، وقد فاجأه العدو فليس بشجاع ، وانما هو في الاولى متهور وفي الثانية جبان ضعيف ·

الشجاعة احد الاركان الاربعة ومنزلتها منها منزلة الجنود من الممالك ، والحصون من الامصار ، ولكم تمدح شعراء الشرق والغرب بالشجاعة ، وحضوا عليها امهم ، فالعظيم من لبس تاجها ، والوضيع من حرم فضيلتها ، وحيل بينه وبينها ، الرجل الضعيف القلب الجبان مهضوم الحق مقصوص الجناح ، لا يقضون له حاجة ولا يسمعون له قولاً ، الجبان اشبه شيء بالدجاجة يؤكل لحمه وهو مهين ، والشجاع كالاسد يحترم ويحرم اكله ، وهو مصون ، وما من امة فقدت شجاعتها واستسلمت ونامت على فراش الراحة الوثير الا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ذلك

بانهم قوم مستضعفون ، ألم تر الى عمرو بن كلثوم ، حين قالت هند ام عمرو ملك العرب لليلي بنت المهلهل بن ربيعة اخي كليب وائل ام عمرو بن كلثوم يا ليلي ناوليي الطبق كيف تحمس ابن كلثوم وقتله وقال في معلقته

(ابا هند فلا تعجل علينا * وانظرنا نخبرك اليقينا)
(باناً نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا)
(باى مشيئة عمرو بن هند * نكون لقيلكم فيها قطينا)

ومنها

(لنا الدنيا ومن امسى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا)
(بغاة ظالمين وما ظلمنا * ولكنا سنبدأ ظالمينا)

افرط وغلا هنا في القوة الغضبية ، وتجاوز الحد كزهير وعنتره فيما سيأتي وهذا مذموم كالجبن .

الجبن مذموم والتهور مذموم والشجاعة الوسط وقال زهير:

(ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)

ثم انظر كيف قتل جساس البكرى كليباً التغلبى ، بناقة سعد جارهم ، وكيف طلب التغلبيون من البكريين قتل

جساس قاتل سيدهم ، فاخذت مرة ابا جساس العزة بالاثم ، وابى تسليم القاتل ، فكانت الحروب الشعواء والداهية الدهماء وتفانى الحيان بكر وتغلب

هذه صفة شجاعة العرب الجاهلية الاولى اذ كانوا يحمون الذمار ويدفعون العار ، ويوقدون النار ، ويحفظون الجار ، تلك فضيلة راي فضيلة ذلك شرف واى شرف ، فخر واى فخر ، ولكنه مصحوب بالجهل تابع لنزعات الشيطان ، ناصر للزور والبهتان ، فكانت الحاجة داعية الى ما يقوم معوجها ، ويصلح فاسدها . ولو تبصرت احوال بلادنا اليوم لرايت الحمية فيها جاهلية ، والنصر تابعاً للعصبية لا للعدل في القضية ، فترى الناس سكارى في تشاجرهم وما هم بسكارى ولكن الجهل عظيم .

فنحن احوج الى عقل يقومنا ، وتمسك بالدين يرجعنا الى الحق والصواب .

الا تعجب كيف جاء القرآن فوجه شجاعة العرب الى الوجهة العامة والفضيلة الشريفة ، فقال تعالى (ونضع

الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال (يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم) الى اخر الاية ولقد مدح الاعتدال في القوة اذ قال (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ونفر من الظلم . فقال (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) بذلك ذهبت تلك الحمية حمية الجاهلية الاولى ، لحمية المكانية الوقتية واستبدلت باحسن منها وهي الشجاعة ، التي بها دوخوا المعمورة شرقاً وغرباً

وقد ذم الله رذيلة الجبن فقال (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرًّا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) ما اشأم ايام الامة الخائرة العزيمة الضعيفة القوى ، المينة الصبر تضاحكها الايام قليلا ، وهم على ارائك الراحة متكئون ، وتبسم لها ثغور الزهر على اشجار الخمائل في ساحة العيش الهنى ، حتى اذا وقعت الواقعه ، وقرعت القارعة وحكمت القنا والقضب في اعناق الرجال ، عبست الايام بعد

ابتسامها ، وذاقوا مر الخذلان فقطع امعاءهم بعد ان رافهم منظره الزاهر ، واظلهم ورقه الناضر ، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين رضوا بالظلم واستناموا للخسف فاصبحوا في ديارهم صاغرين

ليست الشجاعة قاصرة على القتال والذب عن البلاد بالحرب . كلا فليس يتم للناس عمل الا بقوة القلب وتحمل المكروه في قول الحق ، وما من عالم الا ابتلى بمن يشنؤه

لن ينقض بنيان البدعة فتقام على انقاضه قصور السنة الا بقول الحق ولو كره الحاسدون . ولن تموت الرذيلة وتحيا الفضيلة الا اذا قاوم المصلحون تلك العقول الجامدة ، وهزموا صفوف تلك النفوس الخامدة

ولعمرك ان الشجاعة في مقال الحق لاعلى مناراً وارفع شأناً واشرف منالاً من اقتحام الهيجاء ، والحرب قائمة والرماح مشرعة ، والسيوف مصلتة ، الا ان العالم بقوله يصلح الالوف والالوف . ولذلك كان الصديقون أعلى من الشهداء مقاماً

وَاقرب الى الانبياء مجلساً

الا احدثكم ايها الطلاب بحديث السلف الصالح رضى الله عنهم ورضوا عنه اذ كانوا يصدعون بالحق و به يعدلون - كابي بكر الصديق وطاووس اليماني وسفيان الثوري وعطاء بن ابي رباح وابي حازم وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . اولئك الذين هدى الله فقالوا الحق وصدقوا في المقال ولم يخافوا لومة لائم ولم يخشوا الا الله

روى عن ضبة بن محصن العنزى ، قال كان علينا ابو موسى الاشعري اميراً بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وانشأ يدعو لعمر رضى الله عنه قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعاً ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي ، قال فاشخصني اليه فقدمت اليه فضربت عليه الباب فخرج الى فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لى لا مرحباً ولا

اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل لى ولا
مال فبماذا استحللت يا عمر اشخامي من مصري بلا ذنب
اذنبته ولا شيء اتيته فقال ما الذي شجر بينك وبين عالي
قال قلت الان اخبرك به انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى
عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشأ يدعو لك
فغاظني ذلك منه فقمت اليه وقلت له اين انت من صاحبه
تفضله عليه فصنع ذلك جماً ثم كتب اليك يشكوني قال
فاندفع عمر رضى الله عنه باكياً وهو يقول انت والله اوفق
منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت
غفر الله لك يا امير المومنين و قال ثم اندفع باكياً وهو
يقول والله لليلة من ابي بكر و يوم خير من عمر وآل عمر
فهل لك ان احدثك بليلته و يومه قلت نعم قال اما الليلة
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من
مكة هارباً من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر وجعل
يمشي مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة
عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا

يا ابا بكر ما اعرف هـذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما رأى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخله فلم ير فيه شيئاً فحمله وادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاع فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منه شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن ابا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من الم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله السكينة عليه والطمأنينة لابي بكر فهذه ليلته

واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلو

نصحاً فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألف الناس وارفق بهم ، فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ؟ فبماذا اتألفهم ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفع الوحي ، فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه .

ثم كتب الى ابى موسى يلومه .

اما طاووس اليماني فانه كان من التابعين وكان من حديثه مع هشام بن عبد الملك ، اذ اتى المدينة ان قال له هشام عظني ، فقال سمعت من امير المؤمنين علي رضى الله عنه يقول ، ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته .

واما سفيان الثورى ، فقد كان من حديثه انه لما دخل على ابى جعفر المنصور . غنى ، قال له ابو جعفر ارفع الينا حاجتك ، فقال انما نزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار ، وابناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله ، واوصل اليهم

حقوقهم ، فطاطأ المنصور رأسه .

واما عطاء بن ابي رباح ، فانه لما دخل على عبد الملك ابن مروان ، وهو جالس على سريره واجلسه معه عليه ، قال ما حاجتك ؟ فقال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعهده بالعمارة ، واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار ، فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وثغور امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم

واما ابو حازم فانه لما سأله سليمان بن عبد الملك بقوله اي الكلام اسمع أجابه قول الحق عند من تخاف وترجو

قال فاي المؤمنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنياه

واما عمر بن عبد العزيز فانه كان يوماً مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره في مقدمة الرحل قال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذ سمعت صوت عذابه

قيل ان عبد الملك بن مروان خطب يوماً بالكوفة فقام اليه رجل من آل سمعان فقال مهلاً يا امير المؤمنين اقض لصاحبي هذا بحقه ثم اخطب . فقال وما ذاك فقال ان الناس قالوا له ما يخلص ظلامتك من عبد الملك الا فلان فجئت به اليك لانظر عدلك الذي كنت تعدنا به قبل ان تتولى هذه المظالم . فطال بينه وبينه الكلام فقال له الرجل يا امير المؤمنين انكم تأمرون ولا تأتمرون . تنهون ولا تنتهون وتعظون . لا تتعظون افتقتدي بسيرتكم في أنفسكم ام نطيع امركم بالسنتكم ! . فان قلتم اطيعوا امرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه وان قلتم خذوا الحكمة حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام قلدناكم ازمة امورنا وحكمناكم في دمائنا واموالنا ! ما تعلمون ان منا من هو اعرف منكم بصنوف اللغات وابلغ في العظات . فان كانت الامانة قد عجزت عن اقامة العدل فيها فخلوا سبيلها واطلقوا عقالها يبتدرها اهلها الذين قاتلتموهم في البلاد وشتتم شملهم بكل واد . اما والله لئن بقيت في

يديكم الى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لتضمحن حقوق الله وحقوق العباد فقال له كيف ذلك فقال لان من كلمكم في حقه زجر ومن سكت عن حقه قهر فلا قوله مسموع ولا ظلمه مرفوع .لا من جار عليه مردوع و بينك و بين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال حيث ملكك هناك خامل وعزك زائل وناصرك خاذل والحاكم عليك عادل فاكب عبد الملك على وجهه يبكي ثم قال له فما حاجتك فقال عاملك بالسمارة ظلمني وليله لهو ونهاره لغو ونظره زهو فكتب اليه باعطائه ظلامته ثم عزله .

قال الجاحظ في كتاب البيان والبين حدثنا يزيد بن هارون قال اخبرنا هشام بن حسان عن الحسن ان زياداً بعث الحكم بن عمرو على خراسان فاصاب مغنما فكتب اليه زياد ان امير المومنين معاوية كتب الي يأمرني ان اصطفي له كل صفراء و بيضاء فاذا اتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك

فكتب اليه الحكم

الى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ووالله لو ان السموات والارض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً والسلام ثم امر المنادي فنادى في الناس ان اغدوا على غنائمكم فقسمها بينهم

ولنا نحمد من ضبة ومن بعده صدقهم ولكن لانشاد الناس مشادتهم قل الحق وتلطف لا تكن فظاً فلكل مقام مقال وللكلام مواطن

ولقد جرب الناس قديماً القول فرأوا انجعه في العقول الطفه وانفعه في النفوس اجمله ، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى) وقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام (وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين)

فاياك ان تقلد كل ما تسمع بل اعرض كل شيء على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتذكر قول الله تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) واذا قرأت

في تاريخ اليونان ان سولون الحكيم قابل اكرسيوس في مملكة ليديا وهو في ابهته وسلطانه وعظمته متجملاً بافخر الثياب متحلياً هو واعوانه وارباب دولته بانواع الحلى الملكية والجواهر الغالية الثمينة فقال اكرسيوس لسولون هل رأيت احداً ألبس ملابسي فقال نعم الديوك الاهلية والبرية والطاووس فغضب ثم قال هل رأيت احداً اسعد مني فقال الملك طيلوس من اهل مدينة اثينا مات سعيداً قرير العين بنصرة وطنه ولقد حزن عليه سائر البلاد فهذا اسعد منك ويليه اخوان اسم احدهما كليوبيس واسم الاخر بيطون ، كانا فاضلين صالحين اكرما امهما الصالحة حتى انهما جرا عربتها الى المعبد فدعت لهما واثنى الناس عليهما فماتا صالحين مرضياً عليهما من الله والناس وعند ذلك غضب اكرسيوس وظن ان سولون مجنون ثم عرف له فضله بعد حين وضع على النار ليحرق فصرخ بقوله (سولون) فزحزح عن النار وسأله الملك عدوه فاخبره بما جرى له مع سولون فانخلع قلبه واطلقه

واذا سمعت عن ذلك الحكيم الهندي بيدبا مؤلف

كتاب كليلة ودمنه ، وقد دخل على ملك الهند واغلظ له في القول وقال لقد ظلمت الرعية ، واضعت ملك ابائك وخربت البلاد ، واضعت العباد فحبسه ثم اطلقه وولاه الملك بعد حين . فاعلم ان هؤلاء قالوا الحق ووطنوا انفسهم على المكارة فخذ من اثناء ضوءها واعتدل في قولك وتابعهم في قول الحق واصلاح شأن الامة واعدل عن الشتم فذلك خير واحسن تأويلاً واقرأ قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً) وقوله (وقولوا للناس حسناً) وقوله (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقوله تعالى (وليتلطف)

واعلم ان الاطباء انما يضعون الدواء المر في غلاف ليسهل تعاطيه فلتكن اطباء صالحين .

واذا رأيت نفسك خائرة القوة هيابة تفر من الظلام

وتفزع من الاحلام فسلط على الجبن ضده وايقظ النفس من خمولها وخمودها وحركها الى الانفة والشمم والاباء وعدم تحمل الضيم وافعل ما حكاه ابن مسكويه عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه وهياجه ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويهيج منها القوة التي تسكن عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه .

ولقد كنت وانا بالجامع الازهر الشريف اقرأ هذا الكتاب فاخذت اعلم نفسي علم الشجاعة كما في ابن مسكويه

وما احسن مدارس التعليم فليكن لفضيلة الشجاعة التعليم العسكري ، وبعض الامم المتحضرة تعلم ابناءها عموماً النظام العسكري كما في سويسرة الا فلتفعل مصر ذلك كما اوضحنا في كتابنا نهضة الامة وحياتها الذي قصدت به نظام الامة علماً وسياسة وعملاً

فلعمرك ان الجبن سجن المترفين ، قيدهم باغلال وصفدهم

في الاداب ، ولعلكم قرأتم كتاب السبق والرمي في علم الفقه والناس غافلون لا يعلمون لم وضع هذا الباب وما أغفل المسلمين اليوم عن هذه الفضيلة

فاذا لم توقظ الحكومات الناس فليقم الافراد بتربية ابنائهم ليدلوهم على فطرهم الانسانية فذلك ابقى للامم واحسن واشجع للافراد فاذا ماتت الشجاعة حل محلها الجبن واستولى الترف وحاق بالناس الهلاك (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

﴿ اسئلة ﴾

(١) اذكر شجاعة العرب الجاهلية (٢) قارن ما بين حال المصريين اليوم وحال العرب الجاهلية في الشجاعة (٣) ماذا ترى في الشجاعة الوقتية المكانية امي نافعة للامم (٤) وماذا يجب على مربي الامة المصرية في شجاعتهم (٥) قارن حال انتقال الامة العربية من حمية الجاهلية بحال تربيتنا المصرية الآن (٦) ما قصة ضبة مع عمر بن الخطاب وما ترى في شجاعته الادبية (٧) اعط فكرة عامة على الشجاعة الادبية في

صدر الاسلام (٨) قارن ذلك بحالنا اليوم (٩) ما دواء الجبن (١٠) هل تستنتج من الابواب السابقة في الكتاب اسباب الشجاعة وعلاجا اخر للجبن (١١) اذا قسا المعلم على التلاميذ فماذا تكون شجاعتهم (١٢) اذا قهرت الحكومة الامة وقست عليها فماذا تكون حال الامة (٣) ماذا يجب على المعلمين وعلى الحكام حتى لا يميتوا الشجاعة

✻ الكرم والبخل ✻

من ادى من ماله واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فهو الكريم ومن قصر فيما وجب عليه منهما فهو البخيل ثمن شاح في المحقرات وضايق في الصغائر والهنات مع الخدم او اطال في مشاحنة عياله واهله او قريبه على نفقة وسم بالبخيل ولا قيد يحصر اقسام البخل واوصاف البخلاء الا العادة والعرف فلقد ينفق الرجل كثيراً ويشح بالقليل فيحسب بخيلاً فانه قصر حيث ينبغي الايفاء ومنع حيث يجدر الاعطاء

لا كرم الا حيث يكون البذل محبوباً والعطاء مرغوباً والا فتكرم وتكلف

سبب البخل غلبة الشهوات وطول الامل ورحمة الولد وخوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق وعشق المال لذاته

من غلبت عليه شهواته فليعلم انها نار تلظى مهما امدها بالوقود احتدم وطيسها وغلت مراجلها وارتفع لهبها وقالت هل من مزيد ومن طال امله فليتذكر الاخوان والاقران الذين طمعوا كما طمع وجمعوا كما جمع ثم اختطفهم المنون وهم عن التذكرة معرضون ومن جمع الولد فليعلم انه ان يكن من المؤدبين المتعلمين فقد عاش كما يحيا المجتهدون ولله في خلقه شؤون وان كان ممن ارتطموا في اوحال الشهوات وباعوا انفسهم للموبقات وعكفوا على اللذات فالمال طامة كبرى وافة عظمى ومجلبة لشقائه وزيادة في بلائه

ومن خاف الفقر وقلت ثقته بالله عز وجل فليكشف الغطاء عن عينه وليتفكر في الحشرات والطيور والبهائم وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ومن اصبح عاشقاً للمال مغرماً بجمعه كان كالشيخ الهرم الذي جمع مالاً وعدده يحسب ان ماله اخلده تحت اطباق

الثرى حتى لا يرى

فلقد علم انه لا ينفعه في حياته ولا ينتفع به بعد مماته

ومن ابتلي بهذا الداء فقلما يرجى علاجه

* وقد قلت *

وماهذه الدنيا سوى البرق لامعاً * فهذا به يلهو وذا رائد القطر

وماهذه الدنيا سوى الروض يانعاً * وانمارها حسن الاحاديث والذكر

فمن كرمت نفسه وانفق ماله انطلقت الألسنة بمدحه

وتناقلت الركبان ثناءه وجنى ثمرات عمله كرتين في الدنيا

والاخرة كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فمن

انفق فلنفسه يرجع الثناء وله يكون الهناء ومن قتر فهو المحروم

المبعد عن الله والناس ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل

الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه

ونذكر ما خاطب به حاتم ماوية بنت عنزر

اماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

اماوى اني لا اقول لسائل اذا جاء يوماً حل في مالي النكر

اماوى امـا مانع فمبين وامـا عطاء لا ينهنهه الزجر

اماوى ما يغنى الثراء عن الفتى

اذا حشرجت يوماً وضاق لها الصدر

اماوى ان يصبح صداى بقفرة من الارض لاماء لدى ولا خمر

ترى ان ما انفقت لم يك ضرني وان يدى مما بخلت به صفر

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

النفوس الكريمة تريد ان تكون شموساً مشرقة وانماء فياضة فيجودون بالموجود من صدقة ويأملون لقلة ذات اليد حرصاً على الكرم قال الامام الشافعي

يالهف قلبي على مال افرقه * على المقلين من اهل المروءات

إن اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي ان احدى المصيبات

ومما يسر عند السمر ويحلو في البدو والحضر ما يروى ان ابا تمام دخل على ابراهيم بن شكله وامتدحه بابيات وكان عليلاً فتقبلها وامر صاحبه ان يبوئه مبوأ صدق ويعد له نزلاً ومرحباً سهلاً حتى يبل من مرضه فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان حراماً قبول مدحتنا وترك ما يرتجى من الصفد
كما الدنانير والدراهم في ال بيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفاً وجئني بدواه فكتب اليه يقول :

أعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

اذ لك خبرا من سار مثلاً في الاخرين ونكالاً في الغابرين كمثل اعرابي اقبل يطلب رجلاً وبين يديه تين فعطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن شيأ من القرآن قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال هو تحت كسائك

﴿ قبول الاخلاق للتغير واختلافها في هذا القبول ﴾

الخلق هو كل صفة تقوم بالنفس تصدر عنها الافعال

---

(١) العطاء (٢) هذا الباب اخر سهواً وحقه ان يكون بعد باب المؤثرات في الاخلاق في اول الكتاب فليلاحظ

الفاضلة أو الناقصة

وصفات الانسان قسمان قسم لا يقبل التغير كالصفات الجبلية الفطرية من طول وقصر وحسن وقبح وقسم يقبل التغير وهو الاخلاق كالبخل والكرم والشجاعة والجبن وامثالها مما عرفته. لو وضعت حبة أو نواة في أرض طيبة وأنزلت عليها الماء لرأيتها اهتزت وربت وابتهجت بها الارض وازينت فهذا تغير في البذر والنوى بتربيتهما

ونرى الناس يؤدبون دواب الحمل والركوب والعمل بآداب تغير طباعها كالخيل والحمير والبقر والفيلة فهذه تقبل التأديب والتدريب واذا ثبت وصح تغير الصفات والاحوال في النبات والحيوان فاحرى به الانسان

كيف لا ونحن نشاهده كل حين ها نحن نرى الولدان يتركون الاخلاق التي اعتادوها والرذائل التي اكتسبوها والآثام التي اقترفوها بين حشمهم وخدمهم ومع جيرانهم وأبناء أزقتهم اذا انتظموا في سلك التلاميذ وتلقوا الادب عن المؤدبين وكأين من طالب علم نبذ الهجر من القول

والقحة ومعاشرة السفهاء التي كان لها ملازماً وبها مغرماً أيام جهالته وزمن لهوه وبطالته

وأضرب لك مثلاً تلميذين حضريا وقرويا واخرين من أترابهما لا يتعلمان فترى الاولين من الاخلاق والآداب ما لا يتحلى به الآخران ولا يتصفان به مع تقارب النشأة وتشابه تربيته الاولى

هل لذلك سبب الا أن التعليم أثر في الاولين وبقي الاخران مهملين

بل ما لتلك الجند المدربون ولا القواد الماهرون ولا الامراء المؤدبون الا أناس خلعوا ملابس عادتهم التي البستها أباهم أيام الصبا وحلاهم التأديب بأجمل منها ومن تنقل في البلاد وسار في الاقطار وعرف بالاختبار وجالس أصناف الناس وكان ذا بصيرة يحكم من خلق يجتنبه وكم من خلق يكتسبه . واعلم ان الكتاب أحد الجليسين فاختر لنفسك ما يحلو من جيد وردى

كم من امرىء كان صالحاً فافسده صاحب فاسق او

كتاب ومن ذا الذي يقرأ ديوان عنترة او روايته ثم لا يكون شجاعاً قلبه قوياً

ان قراءة الكتب لتفعل في العقول فعل المخالطة . لقد اخبرني فتى اثق به انه كان يفزع للنبأة ويفر للوثبة ويزعجه الشبح المنصوب حتى اذا قرأ رواية عنترة استبدل الشجاعة بالجبن والاقدام بالاحجام

واني لست بهذا احمد ما في تلك القصة من السخافات وانما احمد ما فيه من علو الهمة والاقدام

فاجتنب مخالطة الفاسقين وعاشر اهل الكمال ولا تقرأ من الكتب ما يهيج الاثام واصطف منها ما خلص من شائبة الجهالات وخطل الاوهام وخطر الفسوق والعصيان

﴿ هل الناس يختلفون في قبولهم هذا التغيير ﴾

ان للجسم صحة ومرضاً واعتدالاً وانحرافاً هكذا تكون النفس . صحة النفس حسن الخلق ومرضها سوء الخلق

وكما ان من المرض ما يسهل زواله ومنه ما لا يسهل استئصاله ويستعصي على الطبيب شفاؤه هكذا سوء الخلق

منه ما يسرع دهابه ومنه ما يعسر اقتلاعه ويعجز طبيب النفس عن مداواته بمقاقير الاداب ومثل هذا الخلق نادر ولكن اكثر الاخلاق تقبل التغيير وليست الناس في قبول التغيير سواء

انهم يختلفون طباعاً ويمتازون سجايا وهم اصناف لا يحصرون ولكنهم لا يعدون في ذلك اربعة اقسام ففريق سهل قياده سريع رجوعه قريب تربته وهو الذي جهل ذنبه فاقترفه فاذا ذكرته ذكر وهو بعد لم تتمكن من نفسه خطيئته ولم يدم خطله في عمله كمثل الصبيان في مبدأ امرهم والعامة الغافلين الذين يفعلون ما لا يعلمون قبحه من الخطأ فاذا علموا رجعوا وهم نادمون والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ·

وفريق يعلم قبح ما جناه فيرتكبه وهو الذي نسميه بالاحمق وهذا اصعب من سابقه يحتاج الى عناية وكبح جماح وشدة تهذيب وهذا الفريق قال الله فيه واخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم)

وفريق احاطت به خطيته ودامت حوبته وتمكنت في نفسه زلته فلازمته ملازمة الظل للشبح وألبسته لباس الذلة والعار بالعادة الراسخة بطول الايلاف كما نشاهده فمن اعتاد تدخين التبغ او شرب قهوة البن او أدمن المسكرات ومن هذه الطائفة اناس طال انسهم بالغيبة او أشربت نفوسهم حب اكل لحوم اخوانهم وهم عنهم غافلون . وآخرون لا يفتئون يتكلمون حقاً او باطلا فغلبت السنتهم على عقولهم ورموا بها وراء ظهورهم كانهم لا يعقلون وهذه الطائفة قليل رجوعها بعيد اقلاعها صعب تذليلها كما شاهدناه فيمن عرفناه من الناس

ولذلك قيل ومن العناء رياضة الهرم . وقيل ومن التعذيب تهذيب الذيب ... وهذه الطائفة وأن عز مطلبها وشق عليها رجوعها فليس لها فيما علمت بالتجربة ألا قوة الارادة وشدة العزيمة فالنفوس الانسانية اذا قويت أرادتها واشتدت عزيمتها لا يقف أمامها شيء ولا تقلها قوة وهي

المعبر عنها بالصبر والعزيمة أنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت

وقال ابن الفارض

ونفسي كانت قبل لوامة متى * أطعها عصت أو نعص كانت مطيعتي فالزمتها ما الموت أيسر بعضه * وهذبتها كيما تكون مطيعتي

والفريق الرابع من احلولت له مراشف الذنوب وحلت في عينه قبائح العيوب فاستحلى مرعاها وترك نفسه وهواها وأقام الحجج والبراهين على حسن نبذ العقل والدين فذلك لن يرجع عن ذنبه الا اذا شاب الغراب وآب القارظان وقد قال الله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) وقال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى أذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن)

ألا هل أنبئكم عن حال أقوام غيرت طباعهم وحسنت أخلاقهم وصلحت حالهم بعد فسادها لامور طارئة وأسباب

عارضة في الجاهلية والاسلام . هذا امرؤ القيس بن حجر الكندي الجاهلي لقد قرأتم عنه ما أنزه قلمي عن ذكره واحفظ لساني عن وصفه فغير طباعه واحسن حاله شهامة عربية وشنشنة بدوية لما اغتال أباه بنو اسد واختزموا اجله وجرّعوه كاس الحمام وهو على كرسي ملكهم وعرش سلطانهم قلما أن جاءه الرسول وهو يلعب النرد قال لا صحوَ اليوم ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً أمر ثم خلع ما البسته الايام من سوء العادة ورأس قومه وامتشق الحسام لاخذ الثار وحلف لا يشرب الخمر ولا يقرب النساء . أقلع امرؤ القيس عن سوء عادته للحمية العربية والشهامة القومية بهمة عالية وعزيمة صارمة وحزم عظيم ولست بهذا أرضي طريقته وتجاوزه الحد ومغالاته في الاخذ بالثار ولكن يعجبني انصراف نفسه عن الدنايا وعلوها عن الرذائل . ولأقص عليكم نبأ عظيم من الاكراد كان يقطع السبيل ، وينتهب الاموال حتى اذا انتهى الى مكان فيه ثلاث نخلات احداهن عاطلة من الثمر فرأى عصفوراً يلتقط شيئاً ويذهب به

الى تلك النخلة وتكرر ذلك منه فصعد اليها فرأى حية عمياء فاغرة فاها والعصفور يطعمها فاعتبر بما رآه وقال واحسرتاه لقد خسرت نفسي اذا كان العصفور خيراً مني وكيف يحسن الى ما أمرت بقتله من الحيات وانا أسيء الى من امرت بتكريمه من الانسان فاقلع الرجل عن عاداته للعبرة التي شاهدها والحكمة التي ابصرها

رجع امرؤ القيس عن عادته بتأثير القوة الغضبية والكردي للحكمة العقلية والكتب مفعمة بأمثالهما في كل قرن وجيل والله يهدي الى سواء السبيل

وهل لكم ان تعتبروا بما سأقصه عليكم من نبأ امير مسلم في القرن الرابع استدعى سنانا بن ثابت بن قرة الحراني الطبيب بعد موت الراضي العباسي وشكا له ان الغضب احاطت به خطيئته وملكته سورته حتى انه يقتل البرآء و يسفك الدماء على اقل الذنوب واصغرها فارشده بالانتظار في العقاب حتى تزول سورته وتذهب سكرته ففعل ما امره وتم ما ارشده له ودام على ذلك زماناً حتى حسنت اخلاقه

وسكنت نفسه وصار حليماً

انظر كتاب اخبار الحكماء . واذكروا رجلاً كان من اكابر اللصوص فاصبح بغتة من افاضل الصالحين اذ اعتبر بابنته الصغيرة فرجع عن غيه وعاد الى رشده ومن هذا الصالح؟ هو مالك بن دينار

(أسئلة)

(١) هل يختلف الناس في قبول تغيير الاخلاق

(٢) لم سهل انقياد الصبيان والعامة (٣) هل يعسر اقتلاع جذور الخلق على العاصي العالم بقبح ذنبه ولماذا

(٤) اي فريق من الناس يندر اقلاعه (٥) وهل من سبيل لعلاجه (٦) من الذي يئس علماء الاخلاق من اصلاحه

القسم الثالث

اخلاق عملية

﴿ النظام ﴾

العالم منظم جميل فلتكن اعمالنا منظمة جميلة، الشمس منظمة السير بحسبان القمر والنجوم. هكذا النبات والحيوان وجسم الانسان ونظمه وموسيقاه فلننظم حركاتنا وكلامنا من مبدأ الحياة لنعتاده ولنرتب الامتعه وسائر الاعمال في المنزل . في المدرسة في الحقل . في حانوت التجارة . في كل شيء . لعلكم ايها الطلاب النجباء تعجبون وتقولون ما لنا وما للنظام العام — دع العموم وخض بنا في الاعمال المعروفة واشرح نظام المنازل والمدارس واحوال الناس من المأكل والمشرب وغيرها

---

(١) هذا القسم يغلب فيه الامور العملية والذي لما قبله الامور العلميه وفي كل علم وعمل

اقول على رسلكم قفوا قليلاً لاحدثكم بحديث رجل كان يعبد الله عز وجل فوق جبل شامخ الرأس وقد انس بوحش الفلاة من الذوءبان العاوية والسباع الضاربة وقد طافت به كواسر الطير وهو مغرم بربه عاكف على عبادته ولم يكن ليبالي بثيابه البالية ولا بمواعيد غذائه الذي يسديه له المحسنون وليس لعبادته وقت محدود فبينما هو ذات يوم في معبده وقد انفلق عمود الصباح اذ آنس طاووساً على شجرة فبهره جماله وحسنه ففكر في حسن نقشه ورقشه المنظم وكيف يستيقظ هو وغيره من الطيور وقت الفجر وكيف نظمت اوقات نومهما ويقظتها وكيف كان تغريد المغرد منها بكيفيات موزونة ونغمات مطربة تهيج القلوب وتسر النفوس وكيف يزدهي نور الصباح ونور الازهار الباهر في خلال الاشجار وقد هبت النسيم فغردت الاطيار ذات الجمال البهي والصوت الشجي وحينئذٍ تبدت للعابد حال جديدة وقال · هذا فعل الله والله جميل فلأنظم اوقات غذائي ونومي ويقظتي واسر كل من زارني وأرتب

ملابسي وسافكر في حسن تنظيمها وترتيبها فصار الرجل ظريفاً وسر به كل من رآه

اما انا فاقول لكم: انظروا الى النيل وهو يجري خلال ارضنا المصرية فنحرثها ونزرعها فتخرج كلأً وحباً

تأملوا كيف يتربص الفلاح شهور ايلب ومسرى وتوت تلك الشهور التي يعم فيها الماء اغوار الارض ونجودها

لولا انتظام الشمس ما انتظم امر النيل ولا انتظم امر الفلاح ولا اعد رجال بلادنا للزرع عدته

هأنذا قد اجملت لكم ذلك النظام الجميل العالي المؤثر في احوالنا باذن الله عز وجل فهلموا بنا ننظر انواع ما تكون على الارض فهو نتيجة اتقان النظام العلوي وهو امس بحياتنا واقرب لفهمنا. واعم انواعه النبات والحيوان. وما كان لي ان اعد لكم انواعهما فلسوف تعلمون منهما طرفاً ان شاء الله تعالى في هذه المدرسة

لا اشرح لكم نظام الاوراق والاشجار والازهار والاثمار ولا عجائب اعضاء الحيوان ونظامها وانما اقتصر لكم على

نظام زهرة (الجزالية) التي تروتها في هذه المدرسة امامكم

الم تروا كيف كونت من ورقات صغر صغيرات متناسقات منقوشة من اسفلها بدوائر قاتمة اللون مستديرات وداخلها اخرى بيض ناصعات : فانظروا نظام وضع الاوراق وترتيبها وتناسب طولها وتوافق عرضها وصفرتها واستدارتها وكيف كونت باتحادها دائرة عجيبة صفراء فاقعا لونها تسر الناظرين وقلت

عجبت لنقش الزهر كيف تنوعت بدائعه فيما يسمى جزاليه
رقاق لطاف ناعمات طويلة مدورة الصفين بالنظم حاليه
تقوش بديعات تريك دوائراً بها نضرات بالمحاسن زاهيه
دوائر بيضاً فوق سود كانها نجوم سماء في سناهن باهيه
وترنو الى الشمس المنيرة في الضحى وتغمض عينا في الاصائل ساهيه
تقول وقد تاهت بفرط جمالها من الشفق الغربي صيغ جماليه
فما لرجال العلم عني اعرضوا ومفتاح عقل العالمين بيابيه
وما لكم لا تفقهون محاسني وقد علم الغربي سر طباعيه
تغور ابتسام في جمال وبهجة واسداء معروف لراجي عطائيه
وكم حشرات طاف طائف وفدها * فكان قراها الشهد في سوح داريه

انا لا اطيل في شرح هذا الجمال فما في وجدانكم من الفرح به يغني عن الاطالة ولأذكر طرفاً مما اشتمل عليه نظام الانسان لتستدلوا به على عجائب سائر الحيوان

انكم تعلمون ان تحت الحجاب الحاجز عمالاً تحول الطعام من حال الى حال كالصفراء المفرزة من الكبد وكالمعدة وعصارتها وتعلمون ان الرئة والقلب في الصدر هما القائمان بأمر نظـام الدورة الدموية فالقلب مديرهـا والرئة منقية ما في الدم ولو قرأتم علم النفس لوجدتم لكل عمل من اعمالنا وعلم من علومنا اثارا في قسم من الدماغ مفصولة موزعة على سطحه داخل الجمجمة كما نظمت نقوش الزهرة وكما قسمت اعمال هضم الطعام ودورة الدم على اجزاء الجسم الانساني (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير)

قد آن لنا بعد ما نظرنا النظام الطبيعي العجيب ان نوجه عقولكم الى الاعمال الحيوانية والانسانية وسار يكم يسيراً

من نظام اعمال الحيوان ولاقتصر لكم على حشرتين اثنتين سمى باسمهما سورتان في القرآن تنبيها على عجائبهما الا وهما النحل والعنكبوت

النحل بناء ومهندس والعنكبوت غزال ونساج ومهندس

النحل يبنى من الشمع بيوتاً مسدسة متقنة الوضع لا خلل في نظامها والعنكبوت تغزل بخيوطها وتصنع شبكة عجيبة هندسية بها تصيد الذباب وغيره مما به حياتها

فالشمس بنظام والنيل بنظام والشجر والزهر بنظام والحيوان بنظام وللحيوان غريزة اودعها الله فيه تسيره بنظام (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) هذا هو الترتيب العام في العالم كما قال الله تعالى (الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين وصار بالصنع في احسن تقويم) فلننظر الان في الانسان ونقول

اذا اردت معرفة هذه العجائب والغرائب فاقرأ نظام العالم والامم تر العجب العجاب وكذا جواهر العلوم

وميزان الجواهر وجمال العالم . ولقد افرغنا الجهد في هذه الكتب تذكرة وتبصرة لكل مهذب ذكي

احكم على الرجل والمدينة والامة بالنظام . فكلما كان اتم مكاناً وزماناً وعملاً ومقداراً كان صاحبه اقرب الى السعادة على مقدار نظامه وبضدها تتميز الاشياء ، وسواء في ذلك احوال الانفس كالتفكر ، ام الاجسام كالملابس ، ام الالسنة كالكلام وهو نثر ونظم وخطب ام الافعال من اكل وشرب ويقظة ونوم وراحة وعمل وزراعة وصناعة وتجارة وامارة ام المدينة كالشوارع والبيوت ام الدول كنظام الجيوش وحفظ الامن فعلى نسبة علو النظام تترقى الامم كما فهمت ولافصل لك اربعة امثله من اعمال الانسان لتستدل منها على باقيها فاقول

﴿ المثال الاول ﴾

الزراعة . رايت في مديرية الشرقية ضيعة لرجل عالم بالزراعة حسنة الوضع منظمة الطرق مزدهية الاشجار مغردة عليها الاطيار قد ربى فيها النحل والداوجن فاآنت اكلها ضعفين فلو رايت ثم رايت نظاماً جميلاً وثمراً كثيراً

ويحيط به كثير من الفلاحين الجاهلين وهم لا يشعرون ولولا ما فعل الفلاح المصري من النظام بتقسيم الحقل قطعاً وتقسيم خطوطه كما اسندالكتاب سطرا على سطر وتنظيمه بفطرته وبماورثه عن ابائه ما انتجت له الارض ما يريد ولكنه نظام ناقص عما يجب فتذكر نظام الزهرة وجسم الانسان وبيوت النحلة واقرأ قوله تعالى · (ليبلوَكم احسن عملاً وقال (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) كأن الله لا يعطينا الا على حسب الاتقان في الاعمال وكلما قرب نظامنا من الوضع الالهي اعطانا عطاء حسناً وكلما قصرنا قل الخير والبركات

﴿ المثال الثاني ﴾

الصناعة ـ المراكب الشراعية الجارية في النيل وقطار السكة الحديد لا تقدير في السفينة لزمان سيرها ولا مكان له حطها وترحالها ولا لسرعتها لانها تجري بالهواء وهو لا ضابط بايدينا وقطار الحديد مقدر الزمان والمكان معلوم السرعة محتم العمل متقن الصنع مقدر الجري

القطار اكثر نفعاً واغزر ربحاً من السفينة الشراعية على نسبة التفاضل بين الصنعتين

مررت يوماً على رجل صاحب قهوة بجهة المنشيه احاط به اخرون من جوانبه وهم قد صفوا الكراسى ونظموا وكنسوا ورشوا اما هو فلا يعبأ بنظام ولا يبالي باتقان ولعمرك ان الفرق بين الرجلين كالفرق بين السفينة الشراعية والقطار في المثال السابق اتقاناً وجمالاً ومغنماً وسعادة

﴿ المثال الثالث ﴾

التجارة — مر في احياء القاهرة واعتبر بدكانين احدهما في شارع امير الجيوش والثاني في شارع الموسكى . الم تران الاول في الاكثر اقل نظاماً من الثاني على النسبة بين صاحبيهما فماذا اقول؟ اقول اني اقارن بين النظامين واحكم على الرجلين

﴿ المثال الرابع ﴾

المكتبة الخديوية — فيها قريب من مائة الف من الكتب كثيرة الحجرات ما اجمل نظامها . ان شئت فانطلق

اليها واطلب كتاباً فما اسرع تسليمه اليك . الا حيا الله النظام ثم قارن هذا بمن عنده مائتا كتاب فقط لم يجعل لها نظاماً خاصاً فكم وقت يضيعه في العثور على كتاب فانظر وقارن واحكم واقرأ قوله تعالى (ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وتذكر الزهرة وجسم الانسان وقس الاعمال بالاعمال

ترقى الامم العالمة على الجاهلة بالنظام — فنظام أصغر العمال في الامم المتعلمة ارقى منه عند كثير من المثرين عندنا . زرعوا في منازلهم الصغيرة البساتين . وقسموا اعمالهم واوقاتهم ويقظتهم ونومهم ووزعوا نقودهم على ايام حياتهم — فصلوا امكنة المنازل فجعلوا حجرة النوم وحجرة الاكل وحجرة الاستقبال كما رأيت في نظام اعضاء جسم الانسان

فحرام علينا ان نذر اعمالنا فوضى — حرام علينا الا نحاسب انفسنا قبل ان نحاسب . قال ميمون بن مهران . لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه — وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل

ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا · وقال الامام الغزالي · الساعات ثلاث · ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ، ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه و يراقب ربه واقول

اجعل للعمل وقتاً معيناً · لا تحتقر الوقت القليل · الوقت ثمينه ذهب الوقت كالسيف · دم على العمل كل يوم تر اثره بعد حين · الاوقات في الشرق ضائعه · عين وقت اكلك وميعاد زيارتك وغيرها تنل بركات الحياة

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان عيش الغافلين يطيب
الم ترَ ان اليوم اسرع ذاهب وان غداً للناظرين قريب

﴿ فصل [1] ﴾

الخلق قد يكون ناقصاً بالنسبة لقوم فضيلة بالنسبة لاخرين · وذلك كالخجل فانه في المرأة حسن وهو موطن يسوقها الى العفة وهو في الرجل رذيلة · فاعمرك من راقب الناس مات هما وفاز بالمعالي الحسور · الذي

(١) هذا يتبع باب الفضيلة والرذيلة والسعادة صفحة ١١٣ في القسم العلمي فليلاحظ

يخجل من اظهار الاعمال لا يدفع عاراً ولا يذكي نارا ولا ينفع جارا فذاك الذي ان عاش لا يعتنى به وان مات لم تحزن عليه اقاربه وكالزينة فان ازديادها في النساء فضيلة وتوغل الرجال فيها نقيصة فان الله عز وجل حاز الصنفين وجعل الرجال قوامين على النساء يدافعون عن اوطانهم ويحمون ذمارهم و يدفعون العار عن الديار وقد حرمت الشريعة الغراء الحرير والذهب على الرجال فانه ترف والترف ما دخل بلاداً الا افسدها ولا امّ امة الا دحرها (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي

ومن الاخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة . فمنها حب الكرامة وهو ان يسر الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمديح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضائل . وذلك ان الحدث والصبي اذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعياً الى الازدياد من الفضائل . واما الافاضل من الناس فان ذلك بعد منهم نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه . واذا كان من اهل الفضل فليس ينبغي ان يسر بان يستغرب ما يظهر منه من الفضائل وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زائدا على استحقاقه فانه يجري مجرى التملق . والسرور بالتملق غير محمود لانه من جنس الخديعة . ومنها حب الزينة وهو التصنع بحب البزه والركوب والآلات وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث والظرفاء والمنعمين والنساء . واما

الرهبان والشيوخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظين ورؤساء الدين فان الزينة والتصنع مستقبح منهم. والمستحسن منهم لبس الشعر والخشن والمشي والحفاء ولزوم الكنائس وكراهية التنعم . ومنها المجازاة على المدح وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل وهذا الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء لان ذلك يدعو الناس الى مدحهم ويكسب الممدوح ذكرا جميلا يبقى على الدهر . ومن فضائل الملوك والرؤساء بقاء ذكرهم الجميل . اما محبتهم سماع المدح مواجهة فذلك غير مستحب لانه من جنس القلق وهو مكروه لانه من قبيل الخديعة واما ايثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم وتداول الناس له وبقاؤه بعدهم فان ذلك ممدوح منهم فمجازاة المدح مستحسنة من الملوك ومنعهم مستقبح وضار لان ذلك يدعو الى ذمهم . وذمهم يبقى ايضاً مدى الدهر فينشر لهم ذكرا قبيحاً وذلك مكروه للملوك والرؤساء . واما اصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح غير محمودة فانه اذا مدح الدنيء من الناس فانما يخدعه فاذا اجازه اعتقد انه استرق منه تلك الجائزة . وكثير من الناس اذا مدحوا بما ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه وهم اذا صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء واهل المسكنة كان اجمل واليق . ومنها الزهد وهو قلة الرغبة في الاموال والاعراض والادخار والقنية وايثار القناعة بما يقيم الرمق والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستصغار الملوك ومالكهم وارباب الاموال واموالهم وهذا الخلق مستحسن جدا ولكن من العلماء والرهبان ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت

احسن . واما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا اظهر الزهد فقد صار ناقصاً لان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض وادخارها ليذب بها عن ملكه وصار معدوداً من جملة النقص من الملوك الحائدين عن طريق السياسة

﴿ حاجة الناس الى التعاون ﴾

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعر واخدم

انطلقت انا وثلاثة شيوخ امس في القاهرة للرياضة خلف شاطئ النيل الغربي فخلانا روضة ذات اشجار واطيار وازهار واثمار وقد دنا وقت الاصيل والنسيم عليل

والريح تلعب بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

فارسلنا النظرات تلو النظرات الى تلك الخضرات المدهامات ومن ورائهما الجبل الغربي وقد كساه الاصيل من ذهبه جلبابا وافرغ عليه من لدنه جمالاً وبهاء فتربحت افئدتنا بالمعاني ترنح الاغصان بالنسمات هنالك تبدى اكبرهم سنا وارسخهم في العلم قدما ونرمز له بحرف (ا) وللثاني (ب) وللثالث (ج)

قال لي (ا) ما من اسبوع يمر الا ولي في هذه الرياض جولة ولم يكن لي من السرور والحبور ما اجده الان بمشاركة الاخوان . يالبت شعري ما السبب المناظر هي المناظر والقلب هو القلب فقلت لان الانسان مدني بالطبع لا يتم له امر الا بالتعاون والتشارك والائتلاف سواء في ذلك الضروريات والحاجيات والكمال والزينة

قال (ب) هذا مقال مغمض فاشرح لنا باختصار ولتضرب امثالك مما نراه الان وما نحسس به في الوجدان ولا نلق بنا الى المرامي المهلكة والمفاوز السحيقة

فقلت لنضرب شجرة القطن لنا مثلاً ولننظر البست تحتاج الى الماء ليسقيها والى الفلاح يقوم عليها و يجني ثمرتها والى دواليب حالجة واخرى ناسجة والى تجار يشترون وهم على السفن يركبون وفي بلاد اخرى يبيعون واخرون يحملون الثياب المنسوجة الى انحاء المعمورة ومنها اكثر ثيابي التي البسها الان فهي من البذر نابتة كما ترون وقد تولى الناس العمل فيها وتناولتها ايادي كثيرة وها هو هذا القميص من ثمراتها فانظروا وتعجبوا ولئن قلت لكم انه لو لا تعاون امتي وسائر الامم على سطح الارض لم يكن هذا الثوب كما ترون لم اكن مبالغاً

ولأبين لكم ابسط المسائل وهو الماء الساقي لهذا القطن لن ينتظم امره في ديارنا الا بالهندسة والمهندس لا بد له من مدرسة والمدرسة تمد غيرها و يمدها سواها من مدارس الشرق والغرب وتلك المدارس في حكومات منظمة واوضح من هذا الناس التي بها يعملون لا بد لها من حديد وخشب ونجار وحداد والحديد من المعدن والخشب من الشجر والحديد اجتاب من ممالك اخرى لو لا عمالهم ما وصلنا الحديد

ليس لي ان اطيل القول فصغيرات الامور وكبيراتها تتوقف على تعاون الناس

ومثل الضروريات كالماء الذي نشربه والقوت الذي ناكله ومثل الحاجيات الادم وجودة النوع كالقمح وكالدواء ومثال الكمال التحلي

بالعلوم والمعارف والمسرات كحالنا اليوم ومثال الزينة نفس الملابس والتحلي بالذهب والاحجار الثمينة ولن يتم للانسان واحد منها الا بالتعاون

(ج) فهل يتسني معرفة هذه الاربعة في ملابسي قلت نعم وجود الملبس ضروري ولو من الخيش وكونه من نوع مقبول كالقطن . وتنسيقه على نسق افرانك بان يكون قباء مثلاً كما لي ونقشه بهذه الالوان زينة

قال (ا) على ذلك نحن الان في حاجة لسائر الامم لا امتنا فقط ذلك عجيب اذن سائر الناس متعاونون وان تنائت ديارهم واختلفت دولهم

انهم البسوني هذا الثوب انهم جميعاً لي خادمون فلا مناص من حب سائر الناس وترك اذاهم قلت نعم قال الله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)

فافضل الناس انفعهم وذلك لا يتم الا بالتخلية والتحلية

فاما التخلية فبترك الاذى واما التحلية فبالحب واسداء المعروف والاذى قولي وفعلي والفعلي اما ظاهر كالظلم واما باطن كالسرقة والقولي اما ظاهر كالسب والشتم واما باطن كالغيبة والنميمة واذن فلنذكر الظلم والغيبة والنميمة ونقول

﴿ الظلم ﴾

الظلم مجاوزة الحد في الاعمال والميل عن اوساط الامور قد سبق لك القول ان بني ادم متعاونون لا يتسنى لهم طعام او لباس او علم بغير التعاون وقد نصب الله لهم ميزاناً وهو العدل في كل شيء ولكنهم خدعتهم

الشهوات فكان كثير منهم ظالمين و بالظلم يختل نظام الحكومات والمنازل والاشخاص. لست في حاجة الى تذكيركم بالظلم المعروف بين الناس وهو اخذ المال والحاق الاذى والضرر بالانفس

فلقد تبينتم القول فيه عند الكلام على الشجاعة وعرفتم ما قرره العلامة ابن خلدون ولا بعد وحاصله ما يأتي

ظلم الرعية يذلها و يضعفها و يثبت ملكة الجبن

الظلم يقعد بالرعايا عن العمل لما يذهب بالامل فيتثاقلون الى الارض و يتباطؤن وينامون عن العمل لما يرون من ذهاب نتائج كسبهم فلنتجاوز هذا النوع الى ما هو اخفى وادق واكثر الناس لا يفقهون انه ظلم انه اشد انواع الظلم وانكاها واضرها واسرعها تخريباً واقواها نكالاً

عاش مع الحكومات المستبدة ولازمها ملازمة الظل للشبح والحيز للجسم وانتقل مع الامم المتمدينة لم يفارقها كمرض عصبي وتشبث جني فترى اكثر الامم الراقية يتخطبون به كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس وما هوذا هو اقصاء الاكفاء وتقريب الجهلاء برشوة او بغير رشوة ذلك هو الظلم المبين

الرجل الضعيف يفرق من لبيب تحت امرته فلذلك يجتهد في اقصاء العلماء وتقريب الجهلاء فاذا تولى ادارة البلاد او التعليم او غيرهما من لا علم له بهما ولا خلاق فقد حان بالبلاد الهوان

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة لهم اذا جاهلم سادوا

وهناك ظلم لا يحسب الجاهلون له حساباً يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ظلم الضعيف لا يطيق عن نفسه دفاعاً ظلم تكاد السموات يتفطرن

منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا ظلم تهلع له القلوب وتنشق المرائر ويغضب الرب في سمائه ظلم يحمل النفوس اوزاراً والانسانية عاراً ظلم وما ادراك ما هو هو ظلم الحيوانات العجم التي سخرها لنا الرحمن الرحيم فمن حملها فوق ما تطيق اواجاع اكبادها انزل الله عليه صواعق غضبه ولقد شاهدت الفلاحين يسومونها سوء العذاب فعاهدوني على ان يتواصوا بالمرحمة ويتواصوا بالصبر على امر الناس بالمعروف ونهيهم عن ذلك المنكر فاني اخاف على الامة التي تظلم الحيوان الاعجم ان تبوء بغضب على غضب ولهم عذاب مهين ويقرب منه ترك هرّتك المسكينة بلا اطعام لقد رايت في هذه الايام المرة التي اعتادت مصاحبتي في الاكل تدخل حجرتي في الوقت المعلوم تنبهني على الامرين نظام وقت الطعام ورحمة هذا الحيوان المسكين

قد بان لك ان الظلم يكون في ايذاء الناس والاموال ونهبها والاكفاء وتركها والبهائم وضربها او اهمالها ومن الاول ظلم الاباء الابناء والمعلمين تلاميذهم بالقسوة وكل ذلك يقعد بالافراد والامم عن المعالي ويغريهم جميعاً بالكسل

وهناك قسم رابع اخفى الاقسام واعمها ضرراً وابعدها غوراً واعظمها خطراً وقد يكون سبباً لبعض ما قبله من الاقسام وما هو هذا هو ظلم الانفس بالجهل والكسل واهمالها بلا عمل فمن اتاه الله قوة جسمية او عقلية فعطلهما فقد استحق الخزي في الحياة الدنيا لانه ظلم نفسه باهمال التربية والتعليم

من الظلم ظلم الانفس واذا كان نهب الاموال وحرمان الاكفاء ظلما فمن السهل البين اعتبار المهمل بلا تربية وتعليم مظلوما

انه يستحق التعليم لما استعد له كما استحق الاكفاء للاعمال ما خلقوا له ان اعظم الظلم في الامم الضعيفة جهلها واهمالها

حرام على القادرين الاذكياء المتعلمين ان يخذلوا امهم و بقول احق واصرح حرام عليكم ان تناموا عن ايقاظ الامة لتعميم التعليم والا كان الساكتون ظالمين وحرام على امرىء ان يضيع وقتاً بلا فائدة لا تضيع وقتاً بلا فكر او عمل اياكم ان تظلموا انفسكم باهمالها واياكم ان تظلموا الامة بترك ايقاظها لتعليم ابنائها العلوم والصناعات . وحرمان المعنويات اكثر من حرمان الماديات انك اذا منعتها حقها عليك وهو ارشادها فقد ظلمتها . للامة على عقلائها حقوق كما ان للولد على ابويه حقوق التربية وللرعايا على الرعاة حقوق الامن والحفظ ولا ابالغ اذا قلت من قدر ان ينفع سائر العالمين فقد ظلم الامم وظلم نفسه اذا قصر فيما خلقه الله له

﴿ الغش ﴾

الغش يكون في القول وقد تقدم لكم الكلام فيه و يكون في العمل وهو الذي نتوخى الكلام فيه

وهو اما في النفس واما في الاسرة واما في الامة

النفس الخادعة الغاشة تبدأ بنفسها لا يخدع المرء غيره الا بعد ان يخدع نفسه انه يضل نفسه عن الصراط المستقيم ويزيغها اولا ويقول ان نال هذا الخير الا بالخداع و يستحلي مرارة الذنب و يستهين بالاثم ويستحسن القبيح ثم يقدم على فعله و يتجاسر على خدعه ثم تكون فيما بعد ذلك له سجية لازمة وطريقة دائمة وتدخل الحيلة عليه من طريق الشهوات

كان يخل بميزان اعماله و يتجاوز الجادة في طعامه وشرابه و يغير مواقيت صلواته ومواعيد غذائه و يقول برة حاضرة خير من درة آجلة والمحقق من اللذة العاجلة خير من المظنون من اللذة الآجلة و يقعد عن الاعمال العظيمه خيفة خيبة الامل وذلك بالغش الذي اعتاد ان يدخله على عقله و يقبله بجهله

وقس على ذلك الغش في الصناعة وفي التجارة وفي غيرها فافهم هذا وتذكر ما سياتي في الكذب وغيره وفكر فيما وصلت له حال بلادنا من الغش العام في المطعومات من سمن وزيت وخبز ودقيق وغيرها وكذلك الموازين والمكاييل الحق الحق العدل العدل ما للناس عن العدل معرضين ما لهم عن الصراط السوي ناكبين كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته مسئول عما اؤتمن عليه مؤاخذ على التقصير فيه فعلى رجال الحكومات ان يقوموا بالقطر و يضربوا على ايدي الغشاشين وليراقبوا الوزن والمكيال وليحاسب الناس انفسهم قبل ان يحاسبوا الغش يخيل للانسان النقص في صورة الكمال والجهل في هيئة العلم والضلال في صورة الهدي

يقول له الجهل ارحم هذا المسكين لا تشهد بالحق عليه لئلا يوءذيه الحاكم يقول اسئر على هذا البائع الخائن او السارق الضال يقول ارفع قريبك او صديقك الى مرتبة ليس كفوءا لها ولا تبال بمن عداه والفضيلة تناديه والحقيقة تطالبه وتقول الحق احق ان يتبع

لا حياة للامة ولا شرف للاسرة ولا فضيلة للمرء الا بالامانة وما من اسرة او امة غشت في اعمالها الا حقت عليها كلمة العذاب الموت

بضياع مجدها وذهاب عزها كيف وقد وضعوا الاشياء في غير مواضعها كيف لا وقد قلبوا النظام العام قلبوا الحقائق شوهوا تركيب جسم الامة وضعوا عاليه سافله يشير لذلك معنى حديث البخاري (ان من اشراط الساعة ان ترفع الامانة و يقل العلم و يكثر الجهل) صدق النبي صدق النبي صدق النبي ولقد سمي صلى الله عليه وسلم الخائن منافقاً وانزله عن رتبة المؤمن واسقطه الى هوة سجين وقال الله لم تحملوا العار في الدنيا بالذلة وفي الاخرة ادخلوا النار مع الداخلين وان شئتم فاقرأوا قوله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) وكيف عدد اثني عشر عهدا فلما عتوا عما نهوا عنه جعلهم في اسفل سافلين واسقطهم الى دركات الهون بما كانوا يكسبون

﴿ الغيبة والنميمة ﴾

قد بان لك مما تقدم كيف يهدم الظلم بنيان الامة وكيف يتبعه الغش وهما رداء ان اسودان تلبسهما الانسانية احدهما ظاهر والاخر باطن متطابقان متحدان نتيجة وثارة يلتقيان فيكون الشيء ظلماً وغشاً و يشبه الغش و يقرب منه الغيبة والنميمة . الغيبة ذكرك اخاك بما يكره هذه الافة ليل عم ظلامة وافل بدره وكور نجمه انه ليل دامس غشي على القلوب غشى على العقول ليل ذو ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض اذا اخرج فيها امرؤ يده لم يكد يراها وكيف يراها وقد اصبح العالم والجاهل والذكي والبليد جميعاً يتفكهون باكل لحوم اخوانهم و يفرحون و يرتعون في مواقع التفريق بين الاحبة منهم

ما للناس ينسون قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتاً) وكيف سماه اخا ومثل غيبته باكل لحمه وقيده بكونه ميتاً وما اقبح لحم الاموات وما افظع اكل الشره لحم اخيه لا سيما اذا كان جيفة منتنه

الا ان هذه حال الخامين وصفات المغتابين والنمامون مثلهم كمثل الظرابين يفرقون الناس باذاهم وما اسرع خجلهم وما اقرب فضيحتهم

لقد تم بيني و بين صديق لي انسان فلما ان تلاقت الوجوه وحصحص الحق وزهق الباطل شاهت وجوه الخائنين واخزينا واقصينا وقلنا الا بعداً للقوم الخامين الفاسقين واتحدت انا وصاحبي على نبذه فهذا اقل نتائجه

اياك ان تصاحب نماماً اياك ان تقرب كذاباً اياك ان يضم مجلسك مغتاباً فمن نقل اليك نقل عنك ومن كذب لك كذب عليك واعلم ان كثيراً من الناس خادعون ذوو وجهين ولسانين ولن تجد امرأ سريرته كعلانيته الا قليلا

فاحترس من الناس لئلا تقع في شرك الخامين المغتابين فيفسدوا عليك القلوب الخالصة لك و يقصون عنك النفوس الواثقة وكن ممن قال الله تعالى فيهم(واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

﴿ الصدق والكذب ﴾

اذا كنت بجانب النيل وسئلت اين قصر النيل فقلت مشيراً اليه ها هو فانت صادق واذا اجاب المسؤل بغير ذلك فهو كاذب هكذا اذا شئت

كتاباً او بعت سلعة او شاهدت امراً او سمعت قولاً فليكن قولك مطابقاً للحقيقة مقارناً للصحة لتكون صادقاً والا كان الكذب

فالصدق الاخبار عن الشيء على ما هو عليه والكذب الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه

الصدق شيمة الانبياء وحلية الحكماء وخصلة العلماء وزينة الادباء والكذب خصلة اللؤماء وصفة الجهلاء وحلية الغافلين . انا لا اقول لكم (انار الله سبلكم) دعوا الكذب فانتم اجل نفوساً واطهر قلوباً وارقى ادباً ان تتدلوا الى هذه النقيصة او توسموا بهذه الرذيلة

وانما اريد ان تتبينوا اضرار سبله ومفاوز طرقه وشروره ومنتهجية الكاذبين

الكاذب يضرب قلبه بمدية من لسانه ويسافط على فؤاده لعنات من قلبه لا يستقر على حال من القلق يبني قصوره على شفا جرف هار ويضع قدمه على متن الهواء فينزل الى اسفل سافلين

الكاذب ابدا في ريب من امره وهو في شك من ثمرات عمله شجرة والنتائج من نفثات مكره فليس بمطمئن القلب حتى حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الكذب ريبة والصدق طمأنينة الا ان نفوس الكاذبين في عذاب من الشك مريب

الكاذب ينفض من حوله الاصحاب ويتفرق عن الاجتماع على محبته الاحباب الا انهم لا يصدقون له قولاً ولا يعدونه عدلاً اميناً من فقد ثقة الاخوان عاش طريداً وحيداً وهو في اهله

فهما طال معهم امده او احاط به اهله وولده فانهم به لا يشقون وربما كانت العاقبة ان ينفض جمعهم وتذهب ريحهم و يزول مجدهم ذلك ان الناس انما يعيشون مجتمعين و يتمتعون بالعيش متضامنين واللسان ترجمان والصدق رسول الامان فاذا قتلوه بالكذب ضاع الحق فيما بينهم وغشيت شمس الحقيقة بسحاب باطلهم واسدل ليل الكذب على انوار الحق المبين فاخذ كل من اخيه الحذر وطفقت اباطيل الايمان ومرديات الزور تلعب دورها وتمثل صورها ثم يظهر الامر للاعين وتنفضح الاسرار عند اولئك الاشرار فيعيشون على غير هدى

او يتفرقون غير ماسوف عليهم وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم (اليمين الغموس تترك البيوت بلاقع)

اذا رايت الكذب على امرة ضرب اطنابه وانزل بساحتها ركابه فاعلم انها في الاذلين

اذا احاط الجبن بالقلوب وخاف الناس من الافصاح عن الحق وضربت عليهم الذلة والمسكنة انطلقوا الى رذيلة الكذب مهرولين ومن الرغ الاناء من الماء امتلأ من الهواء

الامة الذليلة كاذبة لما اعتادت الاكاذيب خيفة الرقباء والامة العزيزة اقرب الى الصدق في الاقوال وهذا سر قول بعضهم الصادق مصان جليل والكاذب مهان ذليل

الا وان الكذب جماع كل شر ومفتاح كل اثم والامة الكاذبة يقل فيها الاصدقاء ويكثر فيها الاعداء ويتركون الاعمال فتذهب دولهم ويملكهم قوم اخرون وهذا هو الخزي في الدنيا وهو بعض اللعنة في قوله

تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين)

تبين لك ان الكاذبين لا نفوس لهم مطمئنة ولا اسراتهم بوثيقة العرى ولا وافية العهد ولا اسمهم ذات حول وطول وعز وشرف مبين وما لنا والقضايا العلمية والمقدمات المنطقية والادلة الخطابية . سالت صانع احذية مصريا فقلت له ما الذي منعك ان توجر في حانوتك العمال المصريين فقال ان كثيراً منهم كاذبون

ياخذون الدراهم و يعدون بالعمل ثم لا يرجعون فاضطررت لتاجير سواهم من الصانعين

تواترت هذه الشكوى وعمت البلوى

ولقد كنت اظن ان الاكاذيب خاصة بالجهلاء حتى الفيتها في طبقة المتعلمين ولعمرك ما بلوت امرأ فكذب ولو كان ذا علم الا سقط من عيني فلا ترجم له عندي درجته ولا تدخل في قلبي هيبته

قل للكاذب ماذا حملك على الكذب او ليس لك مروءة ان الرجل اذا كذب ذهبت بهجته وسقطت رتبته وغاض ماء وجهه قال بعض الشعراء

وما شيء اذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه ... وابعد بالبهاء من الرجال

الكاذب لا يوثق بايمانه مشكوك في اخباره مطعون في دينه كما في حديث « علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب الخ » . تخالف الوعد والكاذب اخوان وهما في الشر والذم صنوان فان الصدق والكذب فيما مضى من الاخبار والخلف والوفاء فيما هو مستقبل تخالف الوعد والكاذب منافقان

ولما كان الشك قد تطرق الى ايمانهما ورسول الكفر طرق بابيهما ادخلهما الله في حوزة الكافرين فقال « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله »

قل للكاذب ماذا به تبتغي

فان استجلبت به شهوة حاضرة او منفعة ظاهرة فلقد حسبت السراب ماء واتخذت العنكبوت بيتاً فلعمرك ما انتج الشر الا الشر وهل دار بخلدك او جاش بصدرك ان تتخذ من الوهم قصوراً ومن النار جنة وحريرا فلا والله لينفضحن امرك ويزول لبسك ويبر غدك وان حلا امسك للعالمين وسيكشف

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان ينفعني الصدق وقلما يفعل احب الي من ان ينفعني الكذب وقلما يفعل

وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خفته والكذب مرديك وان امنته وان كان ذلك لطبع غلب عليك فتلك وصمة عار فاقلع بالتوبة عنها واربأ بنفسك ان ترعى في مراتع الهلكة او تدنو منها وان كنت تفعل ذلك ليحلو حديثك للسامعين وتسر بذلك الجالسين فلقد ركبت اسوأ المطايا لاشرف المنازل ونعم السير على بئس العير فمثله كمثل الذي حج بالمال الحرام او بنى المسجد بمال الايتام او كمثل اللصوص ينفقون اموالهم في سبيل الله وهذا لما عجز عن استماع الاذان له واقبال الوجوه عليه بالعلم والحكمة سارع الى الاكاذيب فدبرها والى الاوهام فكبرها والى المستحيلات فصورها ثم رمى بها عقول السامعين

وان كنت تشفى بالاكاذيب غيظك من عدوك فتفتري عليه الاباطيل

وتذبع عليه القال والقيل فقد بوءت باخسر الصفقتين ولربما كانت لك محمدتها وله فضيلتها فقد تظهر مزايا العظيم اذا ذُم و يعظم شأن العالم اذا كذب عليه الجاهلون كما قيل

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

﴿١٠﴾ لو صور الكذب لكان لونه السواد ولو صور الصدق لكان لونه البياض

﴿٢﴾ الكذب يخفي الحقائق ويدسيها والصدق يظهرها و يجليها

﴿٣﴾ فانه كقطع الليل المظلم في اخفاء الحقائق وطمس المعالم حتى قال تعالى (و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) افان الظواهر مرايا البواطن فاذا حنظلت نخلاتهم واظلمت قلوبهم ظهر الاثر على الجوارح فصورت ما اخفته القلوب وكتبت على الجباه ما كنته الجوانح

الا ترى ازاح الله عنك الظلمة والهمك الحكمة وجعل قولك الصدق ووفقك للحق

﴿١﴾ كيف يشك في القول اذا شككته و يستريب فيما اورده اذا ريبته

﴿٢﴾ وكيف ينكص على عقبيه و يحصر في مقاله اذا رددته عليه و يظهر على وجهه سمة الخزي ووصمة القلق وامارة الاضطراب

﴿٣﴾ ولو انك حدثته بحديثه المكذوب وقلبت الوضع وذكرت وحذفت ونقصت ما انكر ذلك عليك ولا امترى فيما اوردت من المقال

هذه علامات الكذاب بها يعرف عند المتوسمين من ذوي البصائر

واصدق الشهداء عليه واعظم الرقباء نظرات العينين وفلتات اللسان واحوال الوجه والملاء

الا وان الوجه والعينين مرايا القلوب وعنوان ما فيها من العيوب

تريك اعينهم ما في صدورهم ان العيون يؤدي سرها النظر

مقياس اداب المرء عندي في الحياة وعده وخبره فان صدق ووفى كان اقرب الى الامانة وان اخلف الوعد تكرارا وكذب ولو مرة لم اكد اصدقه واستريب في جميع اقواله

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكد يصدق في شيء وان كان صادقا

ومن افة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان صادقا

﴿ اسئلة ﴾

«١» ما اسباب الكذب

«٢» ما علامات الكذاب

«٣» ما نتيجة الكذب في الاسرة والاصحاب والامة

«٤» الايات الواردة في الكذب

«٥» الاحاديث

«٦» ما دواء هذا الداء

﴿ الوفاء بالوعد ﴾

الوعد دين واجب اداؤه فلا تخلف وعدك ولا تعد احدا بما لا تقدر على وفائه لقد اصبح اخلاف الوعد في بلادنا من اسهل الامور وقلة الوفاء عند الصغير والكبير

من اخلف الوعد فقد عصى الله وخالف سنته في نظامه ان الله لا يخلف الميعاد اذا وضعت حبة برسيم او ذرة او قمح او قطن وانزلت عليها الماء وانتظرت اياماً فماذا ترى ترى برسيما اخضر ناضرا من الاولى وعيدانا خضرا مورقة ناضرة فيها سنابل مخروطية مرصعة بحب يماثل ما نبت منه من الثانية وصوقا دقيقة ذات سنابل مكللة بالقمح من الثالثه واشجارا مورقة مزهرة تثمر ثمرا يغزل وينسج ملابس للانسان من الرابعه فقد صدق ما احاط بنا من النبات وعده من تغذية الدواب والانسان ومن اللباس . واذا وضعت يدك في النار انتظرت منها الحرارة او على الثلج تربصت البرودة واذا انتظرت كلا من طلوع الشمس وغروبها في اول يوم من فصل الربيع او الخريف الساعة ١٢ عربيه تماماً انجزت الشمس وعدك

واذا تربصت اول الشهر ان يكون هلال على ما يقتضيه جدول الفلكيين تبسم لك ضاحكا وظهر بوجهه الجميل في السماء قائلا انا لا اخلف الميعاد وعد الله لا يخالف الله وعده ان الله لا يخلف الميعاد

هذه فطرة الله عز وجل فطر الناس عليها الا وان العالم عمل الله وقد ظهرت فيه اثاره وتبينت فيه اخلاقه . وفي الحديث « تخلقوا باخلاق الله »

لذلك مدح الله اقواماً صدقوا وعدهم ووفوا بما عاهدوا بل قرن الوفاء بالعهد بالنبوة وقدمه في الذكر تنويهاً به وتنبيهاً على عظيم قدره فقال « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » فتعجبوا كيف صدق الله وعده في المخلوقات المشاهدة ثم مدح

وسولا صادق الوعد وقارنوا هذا بحالنا اليوم . اخلاف الوعد لؤم والوفاء فضيلة الا لا سعادة في الدنيا الا بالشرف ولا شرف الا بالفضيلة والانسان بلا شرف ينزل عن درجة الحيوان

والوفاء بالعهد من افضلها خلة واعلاها منقبة واشرفها مزية الا وان الوفاء بالعهد صفة اكمل الرجال فيها يمتاز الكامل من الناقص والشريف من الوضيع ولا قيمة لمن يخالف الميعاد ولا شرف له عند الناس كبر مقتاً عند الله وعند الناس الاتي بالعهود « كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون »

ولاقص عليكم قصص اناس وفوا بعهدهم فضرب المثل بوفائهم فخلد التاريخ لهم اثراً ورفع لهم في الاخرين مناراً واسدل على ما فعلوه من السيئات ستاراً فمنهم من مات شهيد وفائه وقتيل فضيلته وخيراً فعل فلا شرف الا بالفضيلة وهي هنا الوفاء . ومن هؤلا انه رجل روماني يسمى رجليوس اسر في مدينة قرطاجة والحرب قائمة بين القرطاجيين والرومانيين فعاهده اسروه على ان يطلق لقومه ويحسم النزاع بينهما فتضع الحرب اوزارها والا رجع الى اسره فلما ان خاب مسعاه في الصلح عند قومه كر راجعاً الى قرطاجة ورضي بالعذاب المبين والقتل خيفة ان يسجل على نفسه واهله وقومه العار في العالمين ففضل الموت على الحياة وقدم نفسه فدية الفضيلة واستبدل الموت بالحياة خوفاً من عار الغدر

وقد تعلمون خبر السموأل وانه سلم ابنه للقتل خوفاً من العار والفضيحة بسبب العذر وذلك ان امرأ القيس بن حجر لما سار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الابلق بعد ان اوقع ببني كنده وخذلته

حمير و كرهه اصحابه لسوء فعله وهم الادرع الخمسة التي كانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك وسلاح ومال واهل فاجاره واكرمه ثم ترك ذلك عند السموءل وقصد قيصر ثم ان المنذر وجه الحرث بن ظالم في خيل وامره ان ياخذ مال امرىء القيس من السموءل فلما نزل به تحصن وكان له ابن قد يفع وخرج الى قنصه فلما رجع اخذه الحرث بن ظالم ثم قال للسموءل اتعرف هذا قال نعم هذا ابني قال له اقتلم ما قبلته ام اقتله قال شانك به فلست اخفرذمتي ولا اسلم قال

فضرب الحرث الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السموءل

وفيت بادرع الكندي انى ... اذا ما ذم اقوام وفيت

واوصى عاديا يوما بالا ... تهدم يا سموءل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

انظر الاغانى الجزء الثاني صفحة ٩٨ فانظر كيف ابقى ذكره شرفا رفيعا نحو الف وخمسماية عام الا وان حياتنا ساعة واعمارنا قصيرة الا اذكر لكم قصص رجلين

احدهما غادر و الثاني فاجر فاما الغادر فانه عبد الملك بن مروان فانه امن عمرو بن سعيد ثم قتله فقال لرجل كان يستشيره و يصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر ما رايك في الذي كان حتى قال امر قد فات دركه قال انقولن قال كيف يحيا من وقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد قال عبد الملك كلام لو سبق سماعه فعلى لا مسكت

واما الاخر فهو عبد الحميد الكاتب فقد قال له مروان بن محمد حين ايقن بزوال ملكه قد احتجت الى ان تصير الى عدوى وتظهر العذر لي

فان اعجابهم بادبك وحاجتهم الى كتابتك يدعوهم الى احسن الظن بك فان لم تستطع ان تنفعني في حياتي نفعت حرمي بعد مماتي فقال له ان الذي امرت به انفع الاشياء لك . وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك او اقتل معك

وهل انبئكم بخبر الحرث بن عباد ارسل بجيرا وهو ابن عمرو بن عباد اخو الحرث الى مهلهل بعد قتل همام وجساس وكتب معه لمهلهل يقول قد اسرفت في القتل وادركت تارك وقد ارسلت ابني اليك فاقتله باخيك واصلح بين الحيين ان شئت فقتله وقال لينتسع نعل كليب

فاشعل الحرث نار الحرب فوقع المهلهل اسيرا في يده وهو لا يعرفه فقال الحرث دلني على عدى وانا اخلي عنك فقال المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه فقال نعم قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه وقال في ذلك

لهف نفسي على عدى ولم اع رف عديا اذ امكنتني اليدان

﴿ وفاء سيدنا عمر ﴾

ولاذكر لكم خبر سيدنا عمر بن الخطاب اذ وفى بعهده للهرمزان ذلك انه لما امر بقتله طلب الهرمزان ماء ليشرب فاتى له بقدح فاستامنه حتى يشرب فامنه سيدنا عمر فاراق الماء فخلى عنه للعهد الذي اعطاه

﴿ وممن ضرب به المثل في الوفاء ﴾

حنظلة الطائي ومن هو رجل مجهول في القفار لا يؤبه له اكرم النعمان في يوم سمائه فلما ودعه عرفه بنفسه ووعده بالاحسان فجاء الحيرة في يوم

يؤس النعمان وهو يوم يقتل فيه كل من ورد عليه فامر بقتله او ليكفلنه احد فتكفل به رجل من كلب فاخذ الطائي خمسماية ناقة ورجع الى اهله وجاء عند حلول الأجل بعد عام من يومه فلما راى النعمان ذلك قال والله لا ادري ايهما اوفي واكرم اهذا الذي نجا من القتل فعاد ام الذي ضمن بنفسه والله لا اكون الام الثلاثة فانشأ الطائي يقول

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي اسدى الى من الفعال الحالي
ولقد دعتني للخلاف ضلالتي فابيت غير تمجدي وتعالي

لما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجته ابنتي

فانظروا ايها الطلاب في هذا القصص وتدبروا المواعظ واذكروا ما يصير اليه حال خائني العهود ومخالفي الوعود كم وقت يضيعون لاصحابهم وكم مقت يجرون على انفسهم وكم مصلحة ومنفعة تذهب عليهم لاخلاف الوعود وكفى بخلف الوعد جرماً الا يثق الناس به كما ترون في قصة عبد الملك

اجعلوا وعودكم مع الناس كحضور المدرسة في اوقاتها وسير القطار البخاري فكما لا تتأخرون عن ميعاد المدرسة الا لعذر ثم تقدمونه هكذا فلتفعلوا ذلك مع من تعدون ولتعلموهم قبل حلول ميعاد الاجل المضروب وتذكروا دائماً قول الشاعر:

اذا قلت في شيء نعم فاتمه فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب

واعتبروا ايها الطلاب بذلك الاعرابي القح حفظه اذ خلد اسمه

في التاريخ بالوفاء بالعهد لولا الوفاء ما طار اسمه في الآفاق ولا عرفه المشرقي والغربي الا انما الجمال في الاخلاق . انظروا كيف كان الوفاء درة في تاج عمر ورفعة لذلك الوضيع حنظلة ورصعة للملك العظيم عبد الملك وفخر العبد الحميد المقتول وذكراً خالداً للمحمول

الوفاء اشرف الخلال الوفاء بالعهد شهامة عربية او خلة مضرية وقد ارشدت اليها الشريعة الغراء والقرآن حض عليها والسنة ايدتها بل علامة الايمان وضدها من اخلاق النفاق قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا اخبر كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان)

وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر) قال تعالى (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً) وقال (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)

﴿ اسئلة ﴾

على الوفاء والغدر

(١) اذكر الايات الواردة في وجوب الوفاء بالوعد

(٢) اذكر الاحاديث الواردة في الوفاء بالوعد

(٣) من غدر واخلف الوعد فما وصفه في الدين

(٤) اذكر من جعل نفسه فدية اشرف الوعد من العظماء المسلمين وغيرهم

(٥) انعرف من الذي سلم ابنه للقتل ولم يخلف الوعد

(٦) ومن كان صعلوكاً فوفي بعهده فحاز الشرف وذاع اسمه في الاقطار

(٧) اي ملك غدر فندم بعد الغدر

(٨) اذكر من ظفر بعدوه فوقع في قبضته فاحتال عليه بوعد فوفي به خيفة ان يوصف بالغدر

(٩) ماذا يجب عليك قبل الوعد وماذا تفعل اذا اضطررت لعدم الوفاء بعده .

﴿ محبة الوالدين والاقارب والاصدقاء والجيران ﴾

والاهل والوطن

قد سبق لنا القول ان الناس مدنيون بالطبع و بعضهم عضد لبعض ولن يتم ذلك الا بامرين بتخلية من ظلم وفش وكذب وما اشبهه من آفات اللسان والافعال وتحلية بمحبة واخاء ومودة ونقول الان

ان الامم في اجتماعها والناس في حياتها اشبه بالاجسام الانسانية في تنظيمها والاجسام في حاجة الى غذاء يبقيها ودواء ينجيها عند الخوف وتقويها عند الضعف

ومرض الامم والمجتمعات البشرية والامرات المنزلية والصداقة الاخوية انواع الظلم والفسوق والاكاذيب وما اشبهها مما ذكرناه انفاً وغذاؤها المحبات والمودات والاخلاص في الاقوال والاعمال

المحبة سر الله المكنون المخزون الذي اقام به السماوات والارض المحبة نور اشرق على البصائر فانارها واضاء على النفوس فاسعدها لئن اضاءت

الشمس والقمر والكواكب اقطار السموات واكناف الارض فهكذا كان الحب شمس النفس الانسانية وقمر العقل البشري وكواكب القوى الانسانية وكما ان الكهرباء ان انت اثرتها بالصنعة ثارت فادارت الدولاب فسقت الحرث ودوت الارض وحاجت القطن ونسجت الثوب وصفت اللبنات ثم جعلتها آجرًا فتبني بها البيت وترفع القصر المشيد هكذا كانت المحبة في نفوسنا والود في قلوبنا ان نحن تركناها عدمنا اثرها وجهلنا خيرها وحرمنا وان نحن اثرناها بالمخالطة النوادية والالفة وقدح زناد الاخوة والصلات بالهدايا والتحف والابتسام والادب وحسن المقال وطيب الفعال كانت لنا نورًا مبينًا .

لولا المحبة ما تصافى الزوجان ولا انجبا الغلمان لولا المحبة ما فهم العلم طالبوه ولا ادرك الدرس سامعوه الحياة ظلمات كقطع الليل المظلم وليس يضيئها الا نجوم المحبات و بدور المودات . لولا قلة المحبة في هذا الانسان ما اعوزه القضاة ولا طمع فيه الجناة ليس يلجأ هذا الانسان للمحاكم الا بعد ضعف المحبة كمنت المحبة في القلوب توارث في النفوس كما كمنت الكهرباء في الاجسام وتوارت النار في الاحجار والاشجار وغاب البخار في اقطار الهواء فمن استخرجها فاز بها وسعد ومن فعل فجهلها شقي بجهله وضلاله المبين لعلك تقول ما السبيل لايراء نار المحبة وما العمل لاثارة كهرباء المودة وما الطريق والسبيل ومن الذي يجب ان اتجه له بالمحبة واتقدم اليه بالمودة

احب ابويك احب ابنيك احب اخوانك وجيرانك احب وطنك احب الناس ان كنت من الكاملين للحب اسباب ولا نتيجة بلا مقدمات ولا ثمرات بلا شجرات . يطلب العاقل الحب كما يطلب المال ان شرف

المحبة ومقام الصداقة ودرجة المودة اعلى واشرف من القنية وسائر الاحوال الجثمانيه

الناس يطلبون المال بالجد والتشمير ولكنهم لا يحبون الا مصادفة فاذا رايت الناس ادبروا عنه فكن مقبلاً واعلم ان بناءه على دعامتين التفكر والعمل فاما التفكر فانه يجلي لك شمائل من تحب و يظهر لك ما تناسيته او نسيته من صنوف الفضائل وضروب الانعام تذكر فضل الوالدين عليك وتمثل امام عينيك صنعهما وما لهما عليك من صنوف النعم والتكريم هذا باله وقوته ورحمته وتلك بحملها ورضاعها ورعايتها ورافتها تصور ذلك وانظمه في مخيلتك واعرضه على عقلك وانظر هل جزاء الاحسان الا الاحسان ان ذلك يدعوك للعمل فتسمع وصية الله عليهما في قوله (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) واذا ما وصلت الى قوله (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) . فقارن وشبه وقو الشبه بين الرحمتين بالاعمال واياك والاهمال « ان رحمة الله قريب من المحسنين »

وكما ان من الناس من يغفل عن محبة الابو بن نرى فئة يغضون الطرف عن الولد و يلوون كشحاً الا فليذكر اولئك بما غرس في فطرهم وليداووا بدواء التذكر والممارسة لابنائهم وليخالطوهم وليكسوا الرحمة برداء المحبة ومن مكملاتها تربياتهم جسماً وعقلا والائتناس بهم ومجالستهم ومعاشرتهم وان يخصصوا ساعة يكسبونهم من محاسن صفاتهم وشمائلهم التي اكتسبوها على شريطة ان يحجبوا المساوي و يتأوا بالمخازي فالطبع مراقى للحسنات والسيئات ولتعم بالحب والاحسان سائر اقاربك ولتتجاوز عن هفواتهم ولتكن معهم كيوسف الصديق مع اخوته ولن ترى احدا الا وقد اساء ذوو القربى فالفاضل المهذب من تجاوز واغضى وقابل الاساءة

بالاحسان كما فعل سيدنا يوسف وكان جزاوه في الدنيا ان اصبحوا له مطيعين وخروا له ساجدين وفي الاخرة انه الحق بالصالحين

كرر صورته وتعجب من العفة في الشباب والفضل والخلق الحسن ودفع السيئة بالحسنة واكرام الاهل والعشيرة والذين كانوا له كالحاسدين

﴿ الاصدقاء ﴾

الانسان بلا اصدقاء في الحياة يودهم ويودونه ويحبهم ويحبونه ويتبادلون المنافع كحجر ملقى في الفلاة اياك الا تطلب الصديق الصديق خير من الذهب والفضة وسائر ما على الارض واذا اصطفيت امرءا لاخلاقه الكريمة وادابه الفاضلة فاقدح نار المحبة واثر كهرباء الود بالبشر عند اللقاء والهدايا والتحف عند الامكان . قال بعض الحكماء عجبت لمن يعلم ابناءه اكتناز الذهب والفضة ولا يعلمهم اكتساب الاصحاب . فلق اصحابك بالبشر وكذا سائر معارفك واقرأ ما كتبه ابن مسكويه في ذلك والغزالي لتعلم ان من اصول الدين اتخاذ الاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله يوم القيامة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي » واوحى الله الى المسيح عيسى عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك من الله شيئاً

﴿ من هم الذين نحبهم في الله ﴾

كل من احببته لمعونة جسمية او عقلية كالشريك والخادم والاستاذ والزوجة والولد بهم جميعاً تقرب لله كل من اعانك بقول او فعل فاحببته

تحبه فربى الله عز وجل وهو المسمى بالحب في الله الا ترى انه يعينك على الفضيلة اما بنفسه كالمعلم او بواسطة كالخادم ما اهنأ عيش المتحابين ما اسعد ذوي الاخلاق الجميلة الذين يحبون الناس ويحبونهم حاجاتهم مقضية سيرهم مرضية رضي الله عنهم ورضوا عنه واحذر مجادلة الاصدقاء او غيبتهم او سماع ذم فيهم وانت ساكت اذم السؤال عنهم اكرم تابعيهم واقارب بهم واصدقاءهم من فعل ذلك سعد في الدنيا ودانت له القلوب وكثر اصدقاؤه

والعاقل اذا تألفناه جانب امثاله واشباهه وقد ورد في الخبر ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور قالوا يا رسول الله من هم فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله

﴿ حب الوطن ﴾

ليس حب الوطن غريباً عن موضوعنا انه حب الاصدقاء واخاء اهل وطنك هم اعوانك وعشيرتك هم الذين ربوك وازروك هم الذين واسوك في السراء والضراء . الوطن جسم وانت منه عضو . احب امتك المصرية . جاهد ما حييت في اعلاء شانها ان الجهاد في ذلك يامر به الشرع و يشير له الحديث المتقدم اعن اهل وطنك ابذل لهم العقل والمال والروح عند الحاجة وافهم قول النبي صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ثم اشار الى الاصدقاء ولا تظهر الصداقة الا بالمعاونة انت عين الامة وسمعها انت جزء منها اياك ان تقعد عن نصرتها لئلا

يغضب ربك و يغضب نبيك اياك ان تكون عالة على الامة فيا حسرة على امتنا المصرية اذا غض الطرف عنها ابناؤها الامة كلها لك صديقة ولئن ثبت بالبرهان الصادق ان سائر بني ادم مشتركون متعاونون في منفعتك فعليك ان تعينهم وتكافئهم فما احراك ان تحب امتك وانت من عنصر مزاجها ونسج بردها لا تظن ان حب الوطن ان تقول باللسان وتعتقد بالجنان وانت عن العمل قاعد ولكن لتعلم ان محب الوطن يجاهد بلسانه و بقلمه و بعلمه وسائر جوارحه وطنك مصر تحتاج لخدمتك مصر ترجو منك اسعادها مصر جنة الدنيا وفردوس الحياة مصر زينة الكمال فاحبها حبا جما هل ادلك على تجارة بها تنجيها وصناعة بها تسعدها

(١) اقرأ العلم في المدرسة رغبة ان تتحلى به وتكون به عالماً اضمر لسائر اخوانك ومعلميك الحب وعاملهم بالصفا والمودة

(٢) فاذا فرغت من مدرستك ونلت شهادتك فانطلق الى الخلوات والحقول وادرس نظامها وقيد في دفترك علومها وصنعها لديك في كتاب فاذا انست من نفسك جمال المخلوقات ورسمت على صحيفة عقلك سطوراً من هذه الكائنات فاعلم انك اهل لقيادتها وسوقها الى سعادتها ان سماء مصر صافية جميلة وماؤها سلسبيل وما اجمل النيل وما احسن اشجارها واجمل ازهارها واغزر اثمارها بلاد جميلة بهية احق بلاد الله باخراج العلماء والمفكرين

(٣) فاذا اخذت بحظ من هذا الجمال فاعمل بهذه الوصايا (واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله و بالوالدين احساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً واقيموا الصلاة واتوا الزكاة)

فاكرم والديك بالقول والاحسان واقاربك ليكون لك مرآة على اكرام اليتامى والمساكين في بلادك وقابل الناس اجمعين بوجه باش وقل لهم قولاً جميلاً واقم الصلاة حباً لله وانفق مما اتاك الله واياك ان تذر لحظة من زمانك بلا فكر او عمل اياك ان يذهب شبابك وانت غافل فانك اذا اضعت لحظة من زمن شبيبتك كانت حسرة عليك وعلى وطنك وكلما فرغت من شانك الخاص فانظر في امر امتك وحام عنها جهد الاستطاعة وايقظ العقول من نومها واقم النوام من سباتهم العميق لا تدع ضالاً ولا جاهلاً حتى ترشده الى الصراط المستقيم واياك ان تظن ان خادم الوطن يحرم في الحياة الدنيا من الذكر الجميل والخير العميم ولتعلم ان الجزاء يعم الدارين قال تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فهل ادلك على احسن القصص لتنسج على منواله وتسير على صراطه تامل في قصة سيدنا يوسف النبي صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم

تربى في بيت الوزير المصري فاكرم مثواه فارتدى بالعفة والتزر بالشجاعة وابى الدنايا وقال لمن طلب الخنا ان هذا العزيز احسن مثواي فلا اخونه في عرضه وهل يفلح من خان المحسن اليه وما اجهل الظلوم وافضل السجن في ظلامه على دنس العرض وشينه

فلما دخل السجن لم تصغر نفسه امام الحوادث ولم يتقهقر امام النوائب بل علم الخادمين وصغار العمال من المسجونين

حفظ النبي الصديق وهو في مصر عفته وصان نفسه وبث الحكمة والعلم في سجنه فماذا جرى اصبحت تلك السيدة له من المخلصين وشهد له اولئك الصعاليك في قصر فرعون فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن

الصادقين وقال ساقي الملك انه عليم بتاويل المنام فاصبح امينا بهاتين الشهادتين ودبر الاموال المصريه وصانها عن ضياعها وذهاب ثروتها وبجدهد القديم تحفظ الغلال في سنابلها ايام خصبها ووزعها بين الفلاحين ايام قحطها هذا هو الحب للاوطان هذا هو السيد العظيم هذا هو النبي الكريم هذا الذي عفا عن اخوته الذين في الجب غادروه فخروا له سجداً وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى

اخدم مصر كما خدمها ذلك النبي الصديق اجتهد في تعليم الفلاحين مصر جنة وسكانها جاهلون اني اخاف ان تقصر في حفظها لقد حق القول على من قصروا في المنفعة العامة فقبل لهم (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) فالخزى في الدنيا بالذل والتسخير وفي الاخرة بعذاب النار

وان اردت المزيد فتذكر ما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم اتدرى ماذا فعل نبينا وقد قال الله في اول السورة نحن نقص عليك احسن القصص وفي اخر غيرها وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق

فانظر وتعجب فان نبينا صلى الله عليه وسلم اتعظ بهذه السورة وعمل بما علم فنال ما وعده الله الم تراانه كان يتيماً فاواه الله ولم يكن متعلماً فعلمه الله وكان عائلاً فاغناه الله .

ولئن ارتقى يوسف بصبره على لاذى في سبيل الفضيلة وشدة عزمه وحزمه في السجن وعلم الصعاليك فاعزوه وايدوه فتسلم قيادة الامة المصرية ورفع من شانها فلم يطمع فيها جيرانها المعتدون ثم عفا عن اخوته فكانوا

له محبين شاكرين

فلقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم على اذى قريش وقولهم ساحر كذاب كتأن بطانه العزيز الذين سجنوا الصديق زوراً وبهتاناً وكان يعلم الفقراء الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف كصهيب وسلمان الفارسي كما علم الصديق الخدم في السجن وملكه الله زمام بلاده وفتح مكة وغيرها فقام بالعدل كما تولى يوسف نظارة بيت المال في مصر وعفا عن قريش واكرم اشدهم باساً واصعبهم مراساً وعداوة وهو ابو سفيان زوج هند وهي التي اكلت من كبد عمه

اكرمه النبي صلى الله عليه وسلم وعظمه فقال يوم ان فتح مكة من دخل دار ابي سفيان فهو آمن او ليس من العجب ان يشرف النبي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان كما قال يوسف الصديق لاتثريب عليكم اليوم او ليس من المدهش ان يتوافق التاريخان ثم اليس من المحزن ان يتجافى المسلم عن الفضيلة جهلاً فاقتد باولى العزم ممن هم قادائنا

ان الاخلاق غراس الدنيا والاخرة ثمرتها ومن اراد نفع مصر فليقتد يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم ويتبع خطواته ويعتد بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في اخلاقه وليؤمن بقوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين)

﴿ الاجتماع في الجمعة والعيدين والجماعة والحج ﴾

قد اسلفنا لك كيف كان الاتحاد في الاحوال والاخلاق داعياً للاتحاد والائتلاف والمحبة وكذلك في العالم المشاهد اثار الم تر كيف جرى ماء النهر فسارع الى البحار جرياً الى مستقره لينضم الى جنسه وهكذا

الحجر ترفعه الى اعلى فيأبى الا ان ينزل الى مقره والاجسام الثقيلة كلها تتحرك الى اسفل طلباً لاخواتها وحباً في الائتلاف بجماعتها وهكذا الاجسام الخفيفة الم تر كيف ارتفع الدخان لينضم الى الاجسام الاخرى في طبقاته لاتحاد في الجوهر والصفات فهكذا الناس لا يتعاطفون الا حيث يتفقون ولا يتحابون الا حيث يتشاكلون وانظر كيف ترى الطفل يجري لاضرابه والخادم يحب امثاله . وترى كل اناس امتازوا بصفة يتضامنون لاجلها ويتقاربون بسببها فالحامون تراهم يشمئزون لاهانة احدهم

والتلاميذ يسرهم ما يسر احدهم وعلى ذلك سمعت الامم قديماً وحديثاً في انتشار لغاتها واديانها وعلومها واخبار شجعانها وملوكها ومدح رجالها والتحدث بجمالها وعظمتها كل ذلك ليجتذبوا لهم اخواناً وليقربوا منهم اخداناً واحباباً فيعظم قدرهم ويذاع صيتهم ويكون لهم من وراء ذلك فخر عظيم ومجد كبير على مقدار اتباع من اتصف بصفاتهم وورد مشاربهم وروى من مواردهم

ومن هنا تعلم حكمة التشريع في الاجتماعات والجماعة في الدين الاسلامي فانظر كيف يجتمع المصلون كل يوم خمس مرات في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء يذكرون الله ويعبدونه باقوال وافعال متحدة ويصطفون صفوفاً منتظمة ووجبت عليهم الجماعة وجوباً كفائياً بحيث يشعر اهل كل جهة انها فيهم مقامة ويسمعون الاذان يذاع بين الصغير والكبير تأمل كيف يقول صلى الله عليه وسلم لتسون صفوفكم او ليخالفن الله بين قلوبكم ومن هنا تفهم السر العجيب النبوي الاجتماعي وكيف يقول صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة

هذا سر عجيب لداعية الاتحاد والائتلاف ولما كانت كل جهات البلدة واجباً اتصالها لازماً ائتلافها فرضت الجمعة وشدد الشافعي رضي الله عنه فيها فاوجب ان تكون في البلد في مكان واحد ليأتلف الجمع المحتشد وتتحد الائتدة وشرعت صلاة العيد ليتعارف اهل المدينة ومن حولها مرتين في السنة

ولما كانت الاقطار المتنائية والامم المتباعدة من اهل الاسلام لا جامعة بينهم ولا صلة تربطهم شرع الحج وكان من احد اسبابه تعارف الوجوه المختلفة والامم المتباعدة وتحابهم وتوادهم فانظر كيف يتعارف الهندي والصيني والسوداني والاوربي ويتعرفون اخبار امتهم واحوالهم وعاداتهم ونظاماتهم وكل ذلك اورث محبة بينهم واودع في قلوب اولئك القوم المتباينين من الحب والاشفاق والحنو ما لا يخفى على احد

ثم انظر كيف تنفطر قلوب مسلمي اسيا اذا سمعوا اخباراً سيئة عن مسلمي افريقية وهكذا احوال الاولين بالنسبة للاخرين فتأمل وتعجب

﴿ أدب الانسان في نفسه ﴾

من ادب النفس ان ترعاها في السر كما ترعاها في العلانية فصن نفسك في الخلوات كما تصونها في الجلوات من ذا الذي تهون عليه نفسه فلا يقيم لها وزناً فيجترح الاثم ويرتكب الذنب فليكن ادبك مع نفسك اكثر من ادبك مع غيرك الا ان الاخلاق عادات ومن اعتاد السيئات في خلوته غلبت عليه في علانيته فافتضح امره فكن كما قيل

فسري واعلاني وذلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

الا ان للخواطر السانحات لا ثراً وللمعاني الكامنات لعملاً فادّب السريرة وانظمها واكبح الخواطر واقهرها وتأدب في الخلوة واحفظها

ومن ادب النفس نظام الطعام والشرب واللباس وزينتها بالكمالات العقلية والفضائل النفسية وقد مر كثير منها غير ان للباس حقاً ما قضيناه فادب اللباس ان يكون وسطاً مقبولاً فلا تخالف زي قومك وعادة طائفتك الا ترى ان للشرقيين من الزي ما ليس للغربيين وللتجار ما ليس للعلماء ولتكن زينتك على مقدار ما اتاك الله من مال وما منحك الله من ثروة فاذا لبس المثرى ملبس الفقراء فما احراه باسم المقتر واذا لبس الفقير ملبس الغنى فانه مسرف وكن معتدل الحال في مراعاة اللباس من غير اكثار ولا اطراح فلا تصرف اليه كل عنايتك ولا تزد عن مقدار ثروتك . قال المتنبي

لا تعجبن مضيماً حسن بزته ... وهل يروق دفينا جودة الكفن

وقال ابن الرومي :

وما الحلي الا زينة لنقيصة ... يتمم من حسن اذا الحسن قصرا

فاما اذا كان الجمال موفراً ... لحسنك لم يحتج الى ان يزورا

وقال اخر :

وترى سفيه القوم يدنس عرضه ... سفها ويسحب نعله وشراكها

ولا يوافقك مثل هذا الشعر في مذمة الترك وازدراء النفس وعدم المبالاة باللباس فقد روى عن عائشة رضى الله عنها ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مالك قال من كل المال قد اتاني الله فقال ان الله يحب اذا انعم على امرىء نعمة ان ينظر الى اثرها عليه . وقيل

المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة الاان للظواهر لا ثاراً ولحسن الشكل وجمال الزينة فضلاً في حسن المعاملة وجمال المعاشرة واني لاعرف امراً متصفا بالعلم والصلاح ازدراه صديقه لقذارة ثوبه حتى ابعده عن مجلسه واقصاه عن داره

كن نظيف الجسم نظيف الثياب بهج الهيئة حسن اللقاء عطر الرائحة فلا يرين الناس منك الا جمالاً ولا يشمن الا عطراً ولا يسمعن الا حسناً ولا يرون عنك الا احسن القصص واجمل الثناء

﴿ اداب الاجتماع ﴾

لتكن مع الناس كالنجم اذا طلع والبدر اذا ظهر فليبدون لهم انسك ونورك وليبعدن عنهم زهوك وغرورك فان جلست مع من علا قدره وسما ذكره فلا تقعد متكئاً ولا تعبث بيد ولا تناج جارك واياك ان يغلبك التعاس او السعال او التثاؤب او العطاس فان غلبتك فجانب المجالس واعلم ان السلامة بالتباعد خير من الندامة بالاقتراب وتذكر سورة الحجرات وما فيها من العظات يا ايها الذين امنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله

اجعل الحب شمسك المشرقة وقلبك المضيء وابتسامك دليلاً على اخلاصك. الحياة بحر لجى يغشاك موج من فوقه موج من فوقه ظلمات ولاخيص من الجمعية البشرية والاخلاص والحب هما المغناطيس والكهرباء والادب وحسن الحديث . وتامل كيف امره بان يتامى بنوح وصبره وموسى ومطاولته ويوسف وعفوه وخلقه ونهاه ان ينسج على منوال ذى

النون او يكون كادم اذ نسى ولم يجد له عزماً

فالتقمه الحوت وهو مليم اذ قال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وتامل كيف شبه الكافرين بامرأة نوح وامرأة لوط والمؤمنين بمريم ابنة عمران و بزوجة فرعون اذ صبرت على الاهوال وقالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ولا تنس ذكر الابطال من الصحابة والتابعين كابي بكر وعمر الفاروق وغيرهم في امم الشرق وامم الغرب اجمعين

﴿ اداب الزيارة ﴾

ان للزيارة لاداباً يجمل بالاديب مراعاتها فمنها الاستئذان قال الله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله عليم بما تعملون) ولا تطل المكث عند الامراء ولا الجلوس عند المرضى ولا من تراكمت اشغاله وتزاحمت اعماله قال استاذنا المرحوم الشيخ عبد الهادي الابياري

ولا تطيلن مكثا عند ذي مرض ولا امير ولا ذي شغل اختما

وتفقد حال من تزوره فامكث حيث يحسن الجلوس وقم حيث يحسن القيام واعتبر ذلك مع المزور ولا تجعل قول الشاعر :

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه

مقياساً تقيس به زيارتك بل ذلك يختلف فمنهم من يحتاجك كل صباح ومنهم من يود لقاءك كل جمعة او كل شهر او كل سنة وهكذا زن اقوال الشعراء والادباء والعلماء بميزان عقلك ومن الاداب ان تشاطر الحزين وتقاسم الفرح في فرحه وانفذ شعاع بصيرتك الى المزور فان رابته قد ظهرت عليه علامات الملل او بدت له سانحة شغل وعمل كان سكت عن الكلام او كان متحفزاً للقيام او نظر في ساعته فاسرع بالخروج بعد الاستئذان ولا تطل المحادثة واقفاً فتلزمه الوقوف على قدميه وقابل زائرك بالبشاشة والادب والاحترام وحيه باحسن من تحيته وشيعه الى الباب وخص بالعناية من هو اكبر منك سناً او مقاماً فقابله من الباب ولا تحتقر احداً بل اقبل على كل من زارك وتذكر ما خاطب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال معاتباً له عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكي او يذكر فتنفعه الذكرى ولا تكن في محل اخر والزائر منفرد الا لداعية ورد الزيارة وعد المرضى وخفف عندهم الجلوس الا اذا كانوا يميلون لكلامك ومقامك كما قدمنا وقل عند انصرافك كشف الله حزنك وغفر ذنبك وحفظك في دينك و بدنك

﴿ اداب السفر ﴾

(١) يبتدىء برد المظالم واعداد النفقة لاهله وعياله و يرد الودائع وليتخذ له زاداً حلالاً وليوسع على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره و يعرف خلق الرجل بسفره فان حسن فيه كلامه

وطاب طعامه وظهرت مكارمه فذلك الذي يرجى سفراً وحضراً

(٢) واختر لك رفيقاً ولا تخرج وحدك فالرفيق ثم الطريق وليؤمر الجماعة عليهم واحداً يجمع شملهم و يلم شعثهم وليكن احسنهم خلقاً وارفقهم وليقم بما املوا فيه

لما امر ابو علي الرباطي عبد الله المروزي عليه في السفر قام عبد الله يحمل زادهما على ظهره وبات ليلة على رأس ابي علي والسماء تمطر وفي يده كساء يمنع عنه المطر وكلما نهاه يقول ألست تقول اني انا الامير

(٣) وان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء لقوله عليه الصلاة والسلام (اذا اراد احدكم سفراً فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة)

(٤) وان يصلي في بيته قبل سفره صلاة الاستخارة

(٥) واذا ركب فليقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

(٦) وان يرحل عن المنزل بكرة وان يرفق بالدابة وان يراعي نظافة الثياب والبدن في السفر ليبقى جميلاً حسن البشرة فيحمل المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

﴿ اداب الطريق ﴾

اذا جلست في الطريق فغض النظر عن المحرمات وكف الاذى عن المؤمنين والمؤمنات واعن من استعان بك من ذوي الحاجات ورد السلام على من سلم عليك واذا رايت منكراً فغيره بالاصلاح او خللاً فيما

لمامك من عمل فامر باصلاحه واذا رايت مظلوماً فاغثه او ظالماً فانهه وخذ على يده فامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما يصيبك وكن من المصلحين في حديث البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا قال اذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض النظر وكف الاذى وامر بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿ اداب المحادثه ﴾

وما بقيت من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول

محادثة العقلاء تزيد العليم علماً وترفع المرء الوضيع وتبعث في قلب الجبان شجاعة وفي نفس البخيل كرماً . وكاي من جاهل صار بمجالس الحديث عالماً . وللمحادثة اداب فلا يصدنك عنها الهوى

فاولها ان يرى محدثك انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول . وعلى ان تستفيد منه احرص منك على ان ياخذ عنك . واياك ان يشغلك عن سماع قوله شاغل او يصدك عن الاصغاء اليه خاطر . وان غشيتك شبهة فيما يقول فدعها حتى يفرغ من مقاله . واقبل بوجهك عليه . وليرَ ذلك ظاهراً في لحظاتك وحركاتك وسيماتك

وثانيا ان يكون الكلام لمضرة تصرفها او منفعة تجلبها فالناس لا فوالهم اسرع منهم الى اعمالهم فما اخف حركات اللسان وما اضره باذى الانسان يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم اعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم

وثالثها الا تعدو به وقت الحاجة ولا تقصر فتجعله سابقاً لاوانه او متاخراً عن زمانه فلقد جعل الله القلوب كالزريعات (الاماكن المزروعة) والكلمات بذوراً ولكل بذر وقت لا يغو الا فيه فلكل كلام زمن لا يوثر في غيره فاحذر خلتين اثنتين التواني والعجلة

ورابعها ان تقدره بقدره ايجاز ومساواة واطناباً على حسب حال المخاطبين واياك ان تنطق بلا تفكير او تفعل بلا تدبير وليكن لفظك حسناً ومعناك بديعاً

وخامسها ان تغض من صوتك وتقلل من حديثك و يكون كلامك وسطاً فلا تخفضه حتى يخفى ولا ترفعه حتى يوذي السامعين وسادسها ان ترتل الكلمات ترتيلاً فلا يأخذك الامتراع ولا يقعد بك الابطاء فكلاهما منبوذ وصاحبهما عن القلوب مصروف واياك ان تحادث الانسان الا فيما يعنيه وما يحسنه و يدريه فلا تحادث الفلاحين في الحواشي ولا التلاميذ في المواشي ولا الجند في فقه ابن دقيق العيد ولا الحداد في مقصورة ابن دريد. وكن مع الناس كما فطروا عليه. فالله مع كل نفس بما مصون وهو يتجلى عليهم تجليات بعدد انفاس المخلوقات. وهاك بيتين مما نظمت به ادب الدنيا والدين

للقول داع له يدعو وموضعه ورونق اللفظ والتقدير للكلم
فان عرى اللفظ عنها كان مطرحاً وان حواها فقل هذا من الحكم

وسابعها اذا سئل غيرك عما تعلم فلا تبادر بالجواب فتسيء. محدثك او علمت بعض قول محدثك فاصغ له كانك لم تسمعه فلعمري ان تلك الاداب مجلبة للمحبة وسبيل للمودات وان اكثر من يحبهم الناس كانوا من

ذوي الايناس والاستئناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق الوجه

وقال وهب بن منبه ان رجلاً من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة ايام فسأل الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على قضيتي وذنبي بيني و بين ربي لكان خير الى من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض وان ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين

﴿ آداب الاكل والشرب ﴾

(١) كل الحلال الطيب مكسبه وتذكر ما قدم الله من النهي عن اكل المال بالباطل وقدمه على قتل النفس يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية

(٢) وقدم غسل اليدين قبل الطعام

(٣) وضعه على السفرة او المائدة

(٤) ولا تجلس عليه متكئاً واقصد به ما جعل له من بقاء البدن وتقويته واحذر الاجتهاد في التنعم وكثرة الالوان

«٥» وليكن بسم الله اوله والحمد اخره وقل بسم الله عند اول لقمة وزد الرحمن عند الثانية والبسملة بتمامها عند الثالثة واجهر بها لتذكر غيرك

وصغر اللقمة وجود مضغها ولا تمد يدك لغيرها قبل ان تبتلعها ولا تعب ما كولاً وكل مما يليك

واذا شربت فخذ الاناء بيمينك وقل بسم الله واشرب مصاً وانت جالس ولا تتجشأ ولا تتنفس فيه واختم بالحمد وقل بعد الشرب ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً اجاجاً بذنوبنا . وكل ما يدار على القوم فليكن يمنة واذا شربت في ثلاثة انفاس فقل الحمد لله بعد الاول وزد رب العالمين بعد الثاني والرحمن الرحيم بعد الثالث واذا اكلت عند غيرك فقل . اللهم اكثر خيره وبارك له في رزقه ويسر له ان يفعل فيه خيراً وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين . ولا تبتدىء ومعك من يستحق التقديم ولا يسكت القوم على الطعام وليتكلموا باجمل الكلام وليقصد كل امرىء الايثار ولا تحالف على الاكلين ولا تحوج رفيقك ان يقول لك كل واكرم ضيفك واطل معه الجلوس ويسر ولا تعسر ولا تتكلف والاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وراع الزمان والمكان والعادة وتفكر واعمل هداك الله للعمل الصالح

﴿ ما ينبغي الاقتصار عليه من المطعم والمشرب ومضار الترف ﴾

تعلمون ايها الطلاب الاذكياء ان النعم الخارجة عن ذواتنا ليست مقصودة لاعيانها ولا مطلوبة لذواتها . ان ما عند الناس من صناعة وما اوتوا من تجارة وما اتيح لهم من سلطان وجاه ونعمة فان ذلك مقدمات للسعادة كشراع السفينة المجري لها في البحار والانهار . ابتغ ما تشاء من غنى وشرف وسلطان وجاه اقبض بيديك على ما تشاء من مفاتيح الخزائن

كن كما شاء الله في الدنيا . تعلم العلوم واقرأ الحكمة . ادرس نظام العالم كن تاجرا . كن قاضيا . كن مدرسا . كن ذا مال وشرف . ليس في هذا شيء مما يضاد الفضيلة . الا انما يزيد النفس في الرذيلة ويركدها في الجهالة الشره على الطعام والشراب وتفانيها في الزينة . ان الشره في الطعام والاستكثار من الالوان وحصر الهم في الزينة والتباهي والتفاخر بعرض لدنيا شان الجاهلين وهمة الغافلين الا وان التغالي في الزينة كما يفعل المصريون واضاعة المال في الشهوات والتبذير في المآتم والافراح

ضعف الجسد وموت العدد وفقد المدد ورق الولد وضياع البلد وذل الابد

لتحفظ الاموال في البلاد حتى لا يذهب عزها ليحفظ الناس اجسامهم من الشهوات وعقولهم من الضلالات والجهالات

وليعلم الطالب ان الطعام والشراب يشارك الانسان فيهما اخس الدواب واضعف الحشرات واحقر الصعو (الميكروبات) وليس ما تتعاطى من الاطعمة باحلى مذاقا مما تزدرده النملة في بيتها والعنكبوت في نسجها والحية في جحرها

الا وان الله عز وجل خلق لنا طبيبين حافظين وجنديين قادرين اطعنا امرهما وسمعنا نصحهما احدهما يتطلب الطعام بالترغيب والترهيب والاخر يبعدنا عنه بالتأنيب والتاديب فاما الاول فهو المسمى بالجوع فانه ينذرنا بالآلام المعدية ويرغبنا بالوان الطعام وحلاوة المذاق فهو الذي تولى احضار الطعام باللين والشدة والقوة والعلم فاما الاخر فهو المسمى بالشبع يبغضنا في الطعام بعد الامتلاء وينذرنا ان تمادينا بالداء كأن الله

عز وجل يقول انما قيمة الطعام نتيجته وفضيلته في تغذية الجسم وتقوية العضلات فاما ما عدا ذلك من الزخرف والاكثار وامثالها فانما هي شغل ناصب وعذاب مهين ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

مطلب واذا كان المال مطلوبا لقوام الجسم ووقايته ودوائه وشفائه فاياك ان تنهك قواك في طلابه والا كان الانتكاس على الراس ولتكن وسطا في امورك والا كثر فقرك واصبحت النفس نارا تتلظى تقول لك هل من مزيد. النفس لا يقنعها شيء ولا حد لطلبها لا نهاية لنهمها ولذلك كان اشقى الناس الملوك قال ابن مسكويه (وقد حكمنا ان الملوك اشقى الناس فقرا لكثرة حاجتهم الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته حيث قال اشقى الناس في الدنيا والاخرة الملوك ثم وصفهم فقال ان الملك اذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتبرم بالكثير ويسام الرخاء وان انتقصت عنه اللذة لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم الغش والسراب الخادع جلد الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحي ظله حاسبه فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون. ثم قال « ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستعيدها ثم يستعبر لموافقته وصدقه عن حاله وصورته » ثم قال ما ملخصه « لقد غلط من يرى الملوك والجنائب بين ايديهم تقاد وامامهم الحشم والخدم والاتباع والعبيد اذ يظن انهم سعداء كلا فالناس بجمال مواكبهم فرحون وهم في الهم والغم مغمورون وفي عذاب الحياة مشغولون صم عن الصيت عمي عن الزينة فهم لا يفرحون » وانا

اقول لا يحملنك هذا على ترك الاموال فالفقير محدود الاعمال والجاهل اعمى لا يرى السبيل فاملأ الخزانة مالا والقلب فضيلة وتقرب الى الله بما ملكك وما اتاك من قوة ومال وعلم فاعلم ذلك ومرن الصبيان عليه من مبدأ حياتهم ليعتادوه ثم اذا كبروا عقلوه فانما علم ذلك وعمله تمام السعاده

﴿ وقعت بعض غلطات نشير الى بعضها والبعض لا يخفى على القارئ ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	١٦	والعقل	العقل
٤٣	٠٥	عقاصفها	عقاصها
٤٦	٠٨	السيد	العبد
٦٠	٠٩	عيرم	عرم
٦٤	٠٣	تكادتضيء يكادزيتها يضيء	
٦٦	٠٨	الضم	الضيم
٦٨	١٤	وجوده	وجوده حتى عفيفا
٨٥	١١	الخلفاء	الخلماء
١١٣	١٠	الحياة	الجاه
١٤٩	١٢	بدنياه	بدنيا غيره
١٥١	٠١	لتضحن	لتضحان
١٥٩	١٣	عازر	عفزر
١٦٠	٠١	الغنى	الفتى
١٦٣	١٣	بحكم	فكم
١٨٦	١٣	نفس	نقش
١٨٦	٠٤	كالقطن	كالقطن حاجى
١٩١	١٥	مواقع	مرائع
١٩٣	١٤	عملة شجرة	شجرة عمله
١٩٦	٠٢	بما	انما
١٩٧	٠٣	معدنها	معرتها
٢٠٠	١٦	قرطاجة	قرطاجنه
٢٠٠	٢٠	العذر	الغدر
٢٠١	١١	دماء	وماء
٢٠٢	٠٨	ليتسع	بشسع
٢٠٦	٠٤	وصفت	صنعت
٢٠٦	١٦	فعل	غفل
٢١٠	١٣	وصنعها	وضعها

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صورة المؤلف · ص ٥ مقدمة لناشر الكتاب · ص ٩ خطبة الاستاذ الافتتاحية

« القسم الاول » ١٧ ـ معنى الخلق ـ ٢٠ البيئة ـ ٢١ الدين ٢٥ السعادة ـ عناية القرآن الخ ـ ٣٤ الطرق الاربعة الخ ٣٩ اخلاق النبي الخ

« القسم الثاني » ٤٦ الاربية الجسمية ٥٢ ـ قوى الانسان الثلاث ٥٥ ـ منشأ الاخلاق ٦٤ ـ نتائج القوى الثلاث الخ ٦٥ نظام عجيب ٦٩ تطبيق على القوة الشهوية ـ ٧٦ فضائل القوة الغضبية ٧٩ تحليل القوة الشهوية الخ ٨٥ ـ ست نصائح ـ ٨٧ القوة الفكرية الخ ـ ٩٤ تفصيل الفضائل الخ ـ ١٠١ ذم الافراط ـ ١٠٥ العدالة ـ ١١١ فصل الحب ـ ١١٣ الفضيلة والرذيلة ـ ١١٦ القدوة الحسنة ـ ١١٧ علاج الرذائل ـ ١٢٢ العجب ـ ١٢٥ الكبر ـ ١٢٩ الحسد ـ ٣٤ الثبات والعزيمة ١٣٥ ـ الصبر ١٤٠ الشجاعة ١٠٧ الكرم والبخل

« القسم الثالث » ١٧١ النظام ـ ١٨١ فصل الخلق الخ ـ ٨٤ حاجة الناس الخ ١٨٦ الظلم ـ السرقة ـ ١٩١ الغيبة والنميمة ١٩٣ الصدق والكذب ـ ١٩٨ الوفاء بالوعد ٢٠٢ ـ وفاء سيدنا عمر الخ ٢٠٥ محبة الوالدين ٢٠٨ الاصدقاء ٢١٠ حب الوطن ٢١٥ ـ ادب الانسان الخ ٢١٧ اداب الاجتماع ـ ٢١٨ اداب الزيارة ـ ٢١٩ اداب السفر ٢٣٠ اداب الطريق ـ ٢٢١ اداب الزيارة ـ ٢١٩ اداب السفر ٢٣٠ اداب الطريق ٢٢١ اداب المحادثة ٢٢٣ اداب الاكل ما ينبغي الاقتصار عليه